سلسلة تصحيح الخطاب الإسلامي (2)

دولة الخلافة المزعومة

تأليف

د. سهيلة زين العابدين حمّاد

سلسلة تصحيح الخطاب الإسلامي (2)

دولة الخلافة المزعومة

تأليف

د. سهيلة زين العابدين حمّاد

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى شباب الإسلام الذين ضلّلهم الأخوان باختلاف تنظيماتهم بما يُسمّى بـ" دولة الخلافة" فجعلوهم يُكفّرون مجتمعاتهم وحكّامهم بمن فيهم أقرب الناس إليهم، ودفعوهم إلى قتال المسلمين وأسر وسبي نسائهم للتسري بهن، بل دفعوهم إلى تفجير أنفسهم ليتزوجوا بالحور العين، علّهم يفيقوا من غفوتهم، ويعودوا إلى جادة الصواب.

فهرس الموضوعات

الإهداء 2

فهرس الموضوعات..... 3
مقدمة 5

الفصل الأول..... 7

هل لدولة الخلافة وجود حقيقي في تاريخنا الإسلامي 7

ما هو المرجع الأساسي للمنادين بالخلافة؟..... 8
لا وجود لنظام خلافة في الدولة في الإسلام 9

الفصل الثاني..... 19

دولة الخلافة الأكذوبة الكبرى للأخوان 19

علاقة الصهيونية والماسونية بتنظيم الأخوان..... 20
أصول حسن البنا اليهودية..... 20

الفصل الثالث 31

مفهوم الجهاد في سبيل الله لدى دُعاة الخلافة 31

تعريف الجهاد..... 32
تعريف الجهاد في الاصطلاح 33
المفهوم الصحيح للجهاد 34

الفصل الرابع..... 38

الرق والأسرى والسبايا وملك اليمين 38

الرق!..... 39
تصحيح مفهوم السبايا..... 41
الأسرى والسبايا 44
زواج الرسول بجويرية وصفية بعقد زواج شرعي 45
ملك اليمين 48
مصطلح ملك اليمين..... 49
معنى المحصنات..... 52
تأملات في مدلولات بعض الآيات القرآنية..... 54

الفصل الخامس..... 62

الحور العين والعمليات الانتحارية..... 62

تمهيد 63
المعنى اللغوي للحور العين..... 64
ماهية الحور العين 64
مهور الحور العين..... 65

صفات الحور العين 67
الحور العين في القرآن الكريم 68
صحيح معنى (وزوجناهم بحورٍ عين) 70
الفصل السّادس 75
قتل المرتد في فكر دولة الخلافة المزعومة 75
مصطلح " حرب المرتدين" 76
أهداف الفتوحات الإسلامية في بعض كتب التاريخ 81
انتشار الإسلام عن طريق التجار 83
الخاتمة 86

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعمل وتخطط أحزاب وجماعات وحركات إسلامية دولية وإقليمية لإقامة نظام الخلافة بإخضاع جميع الدول الإسلامية لخليفة واحد، تساندها إسرائيل وقوى غربية تتقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لإشاعة الفوضى والفتن والانقسامات في عالمنا العربي والإسلامي لتنفيذ مخطط الشرق الأوسط الكبير بتفتيت البلاد العربية والإسلامية إلى دويلات صغيرة على أساس ديني وعرقي وطائفي، فعلى المستوى العالمي: الإخوان المسلمون، حزب التحرير، تنظيم القاعدة(حركة مسلحة)، الدولة الإسلامية في العراق والشام(داعش حركة مسلحة) و**على المستوى الإقليمي:** جماعة العدل والإحسان– المغرب، تنظيم دولة الخلافة– تركيا، مجلس الخلافة – بنغلادش، أنصار حسين بدر الدين الحوثي – اليمن، حركة حماس – فلسطين، حركة الجهاد الإسلامي – فلسطين، حركة تنفيذ الشريعة المحمدية – باكستان، أنصار الشريعة – بقيادة أبو حمزة المصري في لندن، وتنظيم التجديد الإسلامي .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هو هل لدولة الخلافة وجود في تاريخنا الإسلامي؟

هذا ما سيُجيب عنه هذا الكتاب.

أيضًا سيتناول الكتاب في الفصل الثاني مفهوم الجهاد لدى دعاة دولة الخلافة وأنصارها والذي أصبح للأسف يدرس ضمن بعض مناهجنا الدراسية لتمكّن البعض من أنصار دولة الخلافة اختراق بعض لجان وضع المناهج الدراسية، مع بيان المفهوم الصحيح للجهاد في الإسلام.

بينما سيتناول الكتاب في الفصل الثالث مفهوم الرق والأسرى والسبايا وملك اليمين لدى الجماعات الإرهابية المسلحة وغير المسلحة، مع تصحيح مفهومها طبقًا للفهم الصحيح لها في الكتاب والسنة الصحيحة .

أمّا الفصل الرابع فهو مخصص لعرض مفهوم الجماعات الإرهابية المسلحة وغير المسلحة للحور العين ، مع بيان مفهومها من الكتاب والسنة.

الفصل الخامس: يتناول هذا الفصل قتل المرتد في فكر دولة الخلافة المزعومة، باعتبارهم جميع المسلمين غير المنتمين إلى تنظيمهم كفّار مرتدين يجب قتلهم حتى أثناء صلاتهم صلاة الجمعة في المسجد مستغلين ما يُردده علماء وفقهاء ومؤرخي الأمة بقتال المرتدين ، مع أنّه لم يُقاتلهم لردتهم ، وإنّما لإعلانهم العصيان المدني بامتناعهم عن دفع الزكاة ، فالقرآن الكريم لا يوجد به نص عن قتل المرتد، ويكفي الاستشهاد بقوله تعالى :(إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ ازْدَادُواْ كُفْراً لّمْ يَكُنْ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾[1]

الخاتمة : تتحدّث عن خلاصة الكتاب.

المؤلفة

حرر في الرياض 22 رمضان 1442هـ الموافق 4 مايو 2021م.

[1] . النساء: 137.

الفصل الأول

هل لدولة الخلافة وجود حقيقي في تاريخنا الإسلامي

ما هو المرجع الأساسي للمنادين بالخلافة؟

المرجع الأساسيّ للمنادين بالخلافة الذي يبشرون به ويقدمونه بين أيدي النّاس في خطبهم على المنابر والفضائيات، ويعدون به شبابا غريرًا ويقسمون لهم بالله أنّه حقّ ووعد من الله وما عليهم إلّا أن يثبتوا ويصبروا ويصابروا ويرابطوا في ثغور الكهوف بين الجبال ويجمعوا العتاد والرجال إلى أن يأتي الخليفة العادل سائرًا على منهاج النبوّة فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا هذا الحديث:

"حدثنا سليمان بن داود الطيالسّي، حدّثني داود بن إبراهيم الواسطي، حدّثني حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير، قال: كنا قعودا في المسجد مع رسول اللهﷺ، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول اللهﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول اللهﷺ:" تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة". ثم سكت. قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين، يعني عمر، بعد الملك العاض والجبريّة، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز، فسر به، وأعجبه".[1]

وعند بحثنا عن سند هذا الحديث نجد فيه داود بن إبراهيم الواسطي الذي يروي عن حبيب بن سالم حديث الخلافة على منهاج النبوّة والذي وثّقه الطيالسّي هو نفسه داود بن إبراهيم قاضي قزوين، الذي قال عنه الرازي متروك، كان يكذب، وهو نفسه داود بن إبراهيم العقيلي الواسطي الذي قال عنه الأزدي: كذّاب.

[1] . مسند أحمد: 18031.

فالحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بغضّ النظر عن أنّه حديث آحاد تفرّد به داود بن إبراهيم، فهو حديث ضعيف، إن لم يكون موضوعًا، ففي سنده داود بن إبراهيم الواسطي، وهو متروك وكان يكذب.

ومن حيث المتن، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يُعيّن خليفة بعده، وفي اجتماع السقيفة، قال أحد الأنصار للمهاجرين، أمير منّا، وأمير منكم، وهذا أكبر دليل على عدم صحة الحديث، لأنّ هؤلاء صحابة رسول الله، ولو كان قال صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، لقال الأنصاري خليفة منّا، وخليفة منكم.

لا وجود لنظام خلافة في الدولة في الإسلام

والقول إنّ نظام الحكم في الإسلام، هو نظام الخلافة لا غير" قول يُغاير الحقائق التاريخية الثابتة، فلا يوجد نظام خلافة نسير عليه، فكل خليفة من الخلفاء الراشدين تولى الخلافة بطريقة غير التي تولاها الذي قبله. وعلى المسلمين أن يختاروا من هذه الطرق ما يناسب عصورهم وظروفهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد من يتولى حكم الدولة الإسلامية بعده، وإنّما أعطى بعض الإشارات، كقوله عند مرضه" مروا أبا بكر فليصل بالنّاس"، فسيدنا أبو بكررضي الله عنه تولى الخلافة بالانتخاب، وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه عهد له أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده، بينما سيدنا عثمان رضي الله عنه تمّ انتخابة من الستة الذين رشحهم عمر بن الخطّابرضي الله عنه لتولي الخلافة من بعده، وهم: عثمان بن عفّان، وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله من عمر رضي الله عنهم، وتنازل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن المنافسة، وقد وضع سيدنا عمر أسس وقواعد الانتخاب، والتقت وجهات النظر حول عثمان وعلي رضي الله عنهما، وانحصر الأمر بينهما إلى أن اجتمعت الأغلبية على عثمان رضي الله عنه ، ففاز بها.

أمّاعلي رضي الله عنه ، فهناك من بايعه إثر استشهاد عثمانﷺ حتى لا تتسع دائرة الفتنة، وخذله نفر من المسلمين، ومنهم من أنكر عليه الخلافة.

وبعد استشهاد علي رضي الله عنه عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه الحسن رضي الله عنه الذي قضى ما يقارب السبعة أشهر في الحكم، ثمّ تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي عمل على التوصية بالخلافة– خلال حياته– لابنه يزيد. وبعد وفاة معاوية أصبح ابنه يزيد هو الحاكم، وقد رفض بعض الصحابة من ضمنهم الحسين بن علي رضي الله عنه ذلك، وقرر الدعوة لنفسه رافضًا تحوّل الخلافة إلى حكم وراثي، مما أدى إلى نشوب معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن على يد عبيد الله بن زياد، وبعد وفاة يزيد تولى ابنه معاوية مقاليد الحكم وراثيًا، ولكنه أعلن رفضه للأمر، وقرر الانعزال وترك الأمر شورى بين المسلمين. وفي تلك الأثناء كانت البيعة قد تمت لعبد الله بن الزبير في العراق، إلا أنّ مروان بن الحكم تم اختياره من قبل الأغلبية خليفة للمسلمين، ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان والذي خرج على الخليفة في الحجاز عبد الله بن الزبير ونشبت معارك قادها رجل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي انتهت باستشهاد عبد الله بن الزبير بجوار الكعبة لينتهي بذلك الأمل في عودة الخلافة إلى شورى بين المسلمين. وبشكل عام تعتبر بداية تولي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه هي بداية نهاية الخلافة وتحولها إلى حكم وراثي منحصر في أسر حاكمة تتنافس فيما بينها على الحكم.

فأين هو نظام الخلافة في الإسلام، حتى يتبّنى كثير من علماء الأمة قيام دولة الخلافة، ولا يوجد نظام ثابت لها، ويورطون الشباب في قتال المسلمين، والقيام بعمليات إرهابية تحت شعار تكوين دولة الخلافة؟

ممّا لا يختلف عليه اثنان أنّ العصر النبوي، ثمّ الراشدي طبّق فيهما الإسلام التطبيق الأمثل، ولا أحد يُنكر عظمة الدولتيْن الأموية والعباسية والحضارة الإسلامية التي ازدهرت فيهما، ولكن

لم تشهد هاتيْن الدولتيْن استقرارًا وأمنًا طوال فترة حكمهما؛ إذ شهدتا ثورات وانفصالات وانقسامات وفتن، أدت إلى ضعفهما وسقوطهما.

بل نجد الفتن ثارت منذ عهد ثالث الخلفاء الراشدين التي أدت إلى مقتله، والتي أشعلها" عبد الله بن سبأ اليهودي" ؛ إذ أدت إلى حدوث خلاف على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانتهى الخلاف باستشهاده، وعندما حوّل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة إلى حكم وراثي رفض ذلك الحسين بن علي رضي الله عنه ، وأعلن نفسه خليفة، وأدى هذا الخلاف إلى حدوث معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين رضي الله عنه ، وعند تنازل الحكم بن يزيد بن معاوية عن الحكم، بويع عبد الله بن الزبير خليفة في العراق، بينما بويع مروان ابن الحكم بالأغلبية، وانتهى الصراع بينهما بقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في مكة. فإن كان قد حدث كل هذا الخلاف حول النظام الذي يتم به اختيار خليفة المسلمين بين بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم يرى في أنّ ما يراه ينصّب في صالح الأمة، ولكن استغل الأعداء هذه الخلافات فأشعلوا الفتن بينهم، فكيف ستكون الحال في عصرنا هذا، والصراع على الخلافة لن يكون من أجل الحكم على منهج النبوة كما يدّعون، ولكن رغبة في السلطة والوصول إلى الحكم؟

فكل حزب وتنظيم دولي وإقليمي متبني مشروع إقامة دولة الخلافة يريد أن تكون الخلافة له، وسيتصارع جميعهم عليها، وستتحول بلادنا العربية والإسلامية إلى صراع دموي دائم، وهذا ما يريده أعداء الأمة الإسلامية، الذين يستعينون بهم الآن لقلب أنظمة الحكم في بلادهم ليستولوا عليه،وقد وجدوا بُغيتهم في تمزيق بلادنا وتفتيتها، وتحويلها إلى دويلات قائمة على أساس عرقي ومذهبي وطائفي لتكون إسرائيل هي الدولة الكبرى في المنطقة، بل لتحقيق مخطط هذه الدويلة بتكوين دولة إسرائيل الكبرى، ومن الغباء والسذاجة أن يعتقد البعض أنّ دول الغرب، وفي مقدمتها أمريكا وبريطانيا، تُرحب بقيام دولة خلافة إسلامية كبرى موحدة تحت راية واحدة، وهي تبث الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، فبريطانيا احتلّت عددًا من الدول العربية، وأعطت لليهود وعد بلوفر، وسلمتهم فلسطين بعد انتهاء انتدابها عليها، والولايات المتحدة

الأمريكية الداعمة لإسرائيل سياسيًا وعسكريًا ولوجستيًا، واقتصاديًا، مستخدمة حق الفيتو ضد أي قرار إدانة لإسرائيل في ما تقوم به من جرائم وأعمال وحشية ضد اخواننا الفلسطينيين، فقد احتضت الدول الغربية الكبرى(أمريكا وبريطانيا وألمانيا) مع إسرائيل وتركيا وقطر مشروع دولة الخلافة لتحقيق أهدافها وتنفيذ مخططاتها، فقد كشف الموقع الأمريكي Veterans Today، أنّ أمير جماعة "داعش" الاجرامية المدعو ابو بكر البغدادي ليس إلا عميل للموساد الإسرائيلي ويدعى "سايمون إليوت" أو "إليوت شيمون"، تم تدريبه ليرأس تنظيم داعش بهدف نشر الفوضى في الدول العربية المجاورة لإسرائيل.

وأكد التقرير الذي نشره الموقع أنّ "أبو بكر البغدادي" ولد لأبوين يهوديين والتقطته أجهزة المخابرات الإسرائيلية، ليحصل على تدريب عالٍ على التجسس، ومن ثمَّ تم زرعه في أحد البلاد العربية ليقيم تنظيم "داعش"، الذى ينشر الفوضى في ربوع العالم العربي ويقوم بهدم الدول، مما يزيد من فرص سيطرة إسرائيل على منطقة الشرق الأوسط. واستدل الموقع بتصريحات أدلى بها "إدوارد سنودن" – الأمريكي الذى سرب تفاصيل برامج التجسس لوكالة الأمن القومى الأمريكية – الشهر الماضي لأحد الصحف، حيث أكد "سنودن" أن تنظيم داعش ليس إلا نتاج خطة أمريكية وإسرائيلية وبريطانية، تهدف إلى جمع أغلبية مجاهدي العالم المتطرفين داخل تنظيم واحد، لنشر الفوضى في الشرق الأوسط وهدم الدول، مما يعطى إسرائيل والعالم الغربي فرصة أكبر للسيطرة على ثروات تلك المنطقة.

[http://www.al-ansaar.net/main/pages/news.php?nid=26466]

ودعاة عودة دولة الخلافة يُفسّرون الحديث وفق ما يريدون، فرغم أنّ الحديث- إن سلّمنا بصحته- يشير إلى أنّ دولة الخلافة هي فترة حكم الخلافة الراشدة، والدول الأموية والعباسية والعثمانية فترة الملك العاض، ويستثنون من هذه الفترة فترة حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز، ومع هذا يعتبرونها دولة خلافة إسلامية بما فيها الاحتلال العثماني الذي خضعت البلاد العربية والإسلامية في عهده للاستعمار الأوربي، ثمّ نجدهم يعتبرون فترة حكم الأنظمة الحالية هو الحكم الجبري، ويرون أنّ ما سُميّت بثروات الربيع العربي من تدافع الناس الوارد في الآية

(251) من سورة البقرة، وحكم جماعة الأخوان الإرهابية في تونس ومصر وليبيا هو فترة انتقالية لقيام دولة الخلافة.

وللأسف نجد المروّجين لدولة الخلافة يُزوِّرون الحقائق التاريخية مصوّرين أنّ نظام دولة الخلافة في كل مراحله جعل الدولة الإسلامية قوية مهابة من الكافرين، وأنّ نظام الحكم في الإسلام" الخلافة لا غير" ، هذا ما **جاء في الكلمة الافتتاحية لمؤتمر "دور العلماء في إقامة الخلافة" الذي نظّمه التنظيم الدولي" حزب التحرير "الذي انعقد في جاكرتا بإندونيسيا يوم الثلاثاء 11/18/ 1434هـ الموافق 9/24/ 2013م**" كان المسلمون طَوَالَ عهد خلافتهم أقوياء بربهم أعزاء بدينهم، إذا قالوا قولة دَوَّت في جنبات الدنيا، وإذا فعلوا فعلاً أدخل الرعب في قلوب الكافرين"

ففي هذا القول مغالطة تاريخية كبرى ليصوّروا للناس أنّ نظام الخلافة الذي يدعون إليه هو النظام الأمثل فكلنا نعرف أنّ دولة الإسلام في عهد الخلافة العباسية لم تكن على نمط واحد من ناحية سلطة الخلفاء، وإنّما تفاوتت هذه السلطة، ممّا جعل المؤرخين يُقسِّمون مدة الخلافة العباسية إلى عصور ثلاثة، تختلف ملامح كل عصر منها عن سواها بمقدار ما كان للخلفاء من سلطان، هي:

العصر الأول(132–232هـ) وفيه كان الخلفاء يتمتعون بالسلطة في الدولة الإسلامية ماعدا الأندلس، ودول أخرى بدأت تظهر خلال هذا العصر، وتستقل استقلالًا تامًا كالأدارسة، أو استقلالًا شبه تام كالأغالبة والطّاهرية والزيادية.

العصر الثاني(232–590هـ): وفيه ضاعت السلطة من أيدي الخلفاء، وآلت إلى:

أ. الأتراك(232–334هـ) مع ملاحظة أنّ هذا العصر يشمل عهد صحوة الخلافة خلال خلافة المعتمد والمعتضد، وعهد الاضطراب، وسلطة نساء القصر بعد هذه الصحوة، وعهد إمرة الأمراء في السنين العشر الأخيرة منها.

ب. البويهيين(334-447هـ)وقد شمل سلطان العراق وفارس والأهواز وكرمان.

ج. السلاجقة(447-590)وقد شمل حكمهم العالم الإسلامي كله ما عدا الأندلس ومصر وشمال إفريقية.

العصر الثالث:(590-656هـ) وفيه استعاد الخلفاء العباسيون السلطة، ولكن في منطقة بغداد ،وما حولها، وظلوا كذلك حتى دهم التتار العالم الإسلامي، ودمروا صورًا ضخمة من حضارته، وقتلوا الخليفة العبّاسي، وأنّهوا أسرة بني العبّاس.[1]

وفي العصريْن الثاني والثالث قامت أيضًا الدولة الطولونية في مصر(254- 292هـ)، ثمّ قامت الدولة الأخشيدية(323-358هـ/945-969م)،وقامت الدولة الفاطمية في تونس، ثم في مصر(358-567هـ/969-1171م)، وقامت دولة المرداسيين في حلب(414-472هـ/1023-1079م)، ودولة البوريون في دمشق(497-549هـ/1103-1154م)،والدولة الزنكية في الموصل والجزيرة، وسوريا، ومصر(521-660هـ/1127-1262م)والدولة الأيوبية في مصر وسوريا (564- 648هـ/1169-1250)،ودولة المماليك في مصر وسوريا(648-923هـ/1250-1517م)، وكذلك في الهند وأندونيسيا.

وهكذا نجد هذا الكم من المغالطات التاريخية لدعاة دولة الخلافة ليغرروا عامة الناس، وشباب الإسلام لينضموا إلى تنظيماتهم وجماعاتهم التكفيرية المسلحة تحت شعار قيام دولة الخلافة، ومن هذه المغالطات ما جاء في الكلمة الافتتاحية لمؤتمر "دور العلماء في إقامة الخلافة" الذي نظّمه التنظيم الدولي " حزب التحرير "المنعقد في جاكرتا بإندونيسيا يوم الثلاثاء 11/18/ 1434هـ الموافق 9/24/ 2013م"والخلافة هي الدولة الإسلامية، فهي الكيان

[1] . د. أحمد شلبي:التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، 24/4،23.

التنفيذي لأحكام الإسلام، ترعى الشؤون؛ فتحفظ الدين والعرض والنفس والمال، وتحمي الثغور، وتزيل العوائق والحواجز من أمام تبليغ رسالة الإسلام، فتعلي كلمة الله في الأرض، أي هي الطريقة العملية الشرعية لإقامة الإسلام وتطبيقه في الداخل وحمل دعوته إلى العالم. ولا يتحقق ذلك إلّا بأن تكون الحاكمية لله وحده والسيادة لشرعه."

وجاء في افتتاحيته" واستمرت دولة الإسلام، دولة الخلافة، في عهد الأمويين والعباسيين والعثمانيين، إلى أن تمكن الكافر المستعمر بزعامة بريطانيا آنذاك بالتعاون مع بعض الخونة من العرب والترك، من القضاء على الخلافة."

فإن كانت الخلافة كما يقول تحفظ الدين والعرض والنّفس والمال، وتحمي الثغور، لماذا وقعت الولايات العثمانية في البلاد العربية والإسلامية للاستعمار البريطاني والفرنسي والهولندي والأسباني والبرتغالي والإيطالي في ظل حكم الدولة العثمانية، وليس بعد سقوطها عام(1924م)، فبعد نجاح بريطانيا في القضاء على النفوذين البرتغالي والهولندي في منطقة الخليج العربي, عقدت أول معاهدة ذات طابع سياسي مع سلطان أحمد(سلطان مسقط) سنة 1798م, ولم يكد القرن التاسع عشر ينتهي حتى كانت بريطانيا، قد عززت نفوذها في الخليج العربي حيث ارتبطت جميع إمارات الساحل العربي: البحرين وقطر والكويت بمعاهدات سياسية مع بريطانيا، كما أخضعت الساحل العماني لنفوذها عام 1820م، أمّا الجزائر فقد خضعت للاستعمار الفرنسي عام 1830م، ومصر خضعت للاستعمار البريطاني عام 1872م، ودخلت القوات البريطانية السودان الذي كان يتبع مصر إداريا منذ أيام محمد علي، بقيادة الجنرال كتشنر، الذي واجه مقاومة كبيرة من رجال القبائل بقيادة محمد المهدي عام 1898م، واحتلت بريطانيا الصومال عام 1884م، واستطاعت دخول بغداد واحتلالها سنة 1917م، ودخلت فيما بعد الموصل عام 1918 بدون قتال. وظلت بريطانيا تسيطر على العراق تحت اسم الانتداب البريطاني، واحتلال فلسطين، ودخلت مدينة غزة في بادئ الأمر عبر مصر، بعد معارك مع القوات

العثمانية، ثم بئر السبع ويافا، إلى أن دخلت القدس عام 1917، وأعلن الانتداب البريطاني رسميًا على فلسطين في مايو 1921، وضمت له منطقة شرق الأردن التي دخلت بوتقة الانتداب البريطاني سنة 1923م، واحتلت مدينة طنجة الاستراتيجية شمال المغرب ومنطقة جبل طارق لتمكينها من السيطرة على المنفذ الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كما احتلت بريطانيا مدينة عدن لمدة 120 عامًا ، وتوسع الاحتلال خلال تلك الفترة ليشمل بمعاهدات حماية جميع مناطق اليمن الجنوبي، واحتلّت فرنسا تونس عام 1882م، والمغرب عام 1912، وجيبوتي عام 1862م، وسوريا عام 1920م، ثم لبنان.

أمّا الاستعمار في جنوب شرق آسيا، فقد طالت فترته في جزيرة الملايو؛ إذ خضعت للاستعمار لأكثر من 400 عام، واعتبار الهجوم البرتغالي على ملقا عام 1511 م بداية لذلك الاستعمار.

كما بدأت روسيا القيصريَّة في التكالب على المسلمين في هذه المناطق، لمَّا ضَعُفَت الدولة العثمانيَّة، وخاضت معهم حروب إبادة جماعيَّة، بدءًا من عهد إيفان الثالث (885هـ – 1480م) الذي نكَّل بالمسلمين، وقاد حملة كبيرة أخرج فيها المسلمين التتار من موسكو بعد أن دامت في أيديهم قرابة 240 عامًا، ثم جاء عهد فاسيلي الثالث ابن إيفان الثالث، فطلب منه البابا أن يعجِّل بطَرْد المسلمين إلى سيبريا وتشتيتهم، واعدًا إيَّاه بملكوت السماء بالقسطنطينيَّة التي فتحها محمد الفاتح العثماني عام 857هـ، لكنَّ أخطر هؤلاء القياصرة كان إيفان الرابع أو "الرهيب" كما أَطْلَق عليه المسلمون هذا الاسم؛ وذلك بسبب حرب الإبادة الشاملة التي شنَّها ضدَّهم؛ فقد فرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويُهاجروا مثلما فعل الأسبان بمسلمي الأندلس.

وهكذا نرى فإنّ طلّاب السلطة يُزوّرون في التاريخ، ويستغلون الدين لتنفيذ مآربهم وأغراضهم، ويجدون في الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمفردة، وفي الفتاوى التكفيرية التي تدعو لإثارة

الفتن والقتل وسفك الدماء ما يريدونه، ويخدم مصالحهم، ويتحالفون مع أعداء الأمة لتنفيذ مخططاتهم من جهة، ويستغلون جهل العامة، وجهل شبابنا بدينهم وتاريخهم، فيضلّلونهم، ويُجندونهم لخدمة أفكارهم من جهة أخرى، فهؤلاء الذين اختطفوا ديننا وشوّهوا صورته، وجعلوه دين إرهاب وقتل وسفك دماء وسبي نساء، وبيعهن وانتهاك أعراض ،كما فعلت داعش، وألزمت مسيحي الموصل بدفع الجزية، أو مغادرة البلاد، وهذا لم يحدث في أي عصر من عصور الدولة الإسلامية.

خلاصة القول: إنّ قوة الدولة ليس بطبيعة نظام الحكم فيها، وإنّما في قوة حاكمها وصلاحه سواءً كان امبراطورًا، أو ملكًا، أو رئيسًا، أو أميرًا، فقد شهدت عصور الدولة الإسلامية في الدول الأموية والعباسية والعثمانية خلفاء ضعاف أضعفوا الدولة.

أنا لستُ ضد وحدة الأمة، ولكن ضد إثارة الفوضى والفتن في البلاد العربية وتكفير بعضنا البعض ، وقتال بعضنا البعض تحت شعار إقامة دولة الخلافة، فإن كنا في دول مجلس التعاون الخليجي لم نتمكّن حتى الآن من الاتفاق على إصدار عملة موحدة، ولم نكوّن سوقًا خليجية مشتركة، فكيف سيخضع مليار ونصف مسلم لحاكم واحد؟

هذا من ضرب الخيال، وعلى أي نظام ستقوم دولة الخلافة على النظام الوراثي كما في الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، أم على الانتخاب؟

فإن كان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم معاوية بن أبي سفيان، والحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير) رضوان الله عليهم اختلفوا على ذلك، وهم مجردّون من المصالح الشخصية، وكل منهم يريد صالح الأمة، فكيف نحن سنتفق، والغالب علينا حب السلطة، والوصول إليها بأي ثمن؟

فعلينا أن نوحّد الجهود لإقامة "اتحاد عربي"، ثم إسلامي" على غرار الاتحاد الأوربي، وسوق خليجية مشتركة ، ثم سوق عربية مشتركة، ثم سوق إسلامية مشتركة، وأن يتفق زعماء الأمة على توحيد قراراتهم ومواقفهم تجاه قضايا الأمة، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

كما علينا أن نتحرر من الجمود الفكري، ونعمل عقولنا، ولا يفتي علماؤنا بفتاوى مضى عليها أكثر من ألف عام، لا تتوافق مع عصرنا وواقعنا، بل منها يُناقض القرآن الكريم، ويستند على أحاديث ضعيفة وموضوعة، كما في حديث الخلافة.

الفصل الثاني

دولة الخلافة الأكذوبة الكبرى للإخوان

علاقة الصهيونية والماسونية بتنظيم الأخوان

إنّ أيد صهيونية ماسونية بريطانية كانت وراء تأسيس تنظيم دولي أطلقوا عليه مُسّمى" الأخوان المسلمون" بهدف تقسيم مجتمعاتنا العربية والإسلامية إلى مسلمين، وهم الذين ينضمّون إلى هذا التنظيم، وكفّار الذين لا ينتمون إليهم، وإباحة أعراض وأموال ودماء الكفّار، وأوجدوا تنظيمات سرية مسلحّة للقيام بعمليات القتل والاغتيالات والتفجيرات، وأوكلوا مهمة تأسيس هذا التنظيم وإدارته إلى يهودي تأسلم هو " حسن السّاعاتي(البنّا)

أصول حسن البنا اليهودية

للعملاق عباس محمود العقاد مقال هام جداً يثبت فيه بالأدلة أنّ حسن البنا من أسرة مغربية ذات أصول يهودية, واسترسل في بيان أن ترجمة (البنا) إلى الانجليزية هي MASON ماسوني وأن البنا وأبيه وجده كانوا يعملون في تصليح الساعات وهي مهنة اليهود آنذاك .. إلى غير ذلك من الدلائل..

حسن البنا ولد في البحيرة وهي اكبر منطقة يهودية في مصر وفيها ضريح ابو حصيرة الذي يحجون إليه اليوم وأغلب اليهود في البحيرة جاؤوا من المغرب واغلبهم تاسلم ومنهم جد اليهودي حسن البنا الذي كان صوفيًا كعادة أغلب يهود العالم العربي في إفريقيا.

البنا جاء من كلمة بناء وهي أصل الماسونية، وهم يقولون عن أنفسهم البناؤون الأحرار وحسن البنا كان منهم ولفظ بنا جاء من الماسونية ،هو وأبوه وجده صنعتهم تصليح الساعات حتى قال عنه العقاد إنّ الحي هذا لا يعرف مصري يعمل فيها غير اليهود، وكانت مهنة تصليح الساعات من المهن اليهودية فكيف أصبح الساعاتي بناء بقدرة قادر!!!

نذكر أنّ اليهود العرب يجيدون التجسس وتقمص الشخصيات, والماسونية لاتعمل الا بحماية مشايخ وذقون خونة أو قادة من ذوي الكاريزما لتبييض صورتهم بين عامة المسلمين, فمصطفى كمال أتاتورك هادم الخلافة العثمانية معروف أنه من اليهود الأتراك المتخفين في ثوب الاسلام,

وكاد اليهودي كوهين : كامل امين ثابت ان يصبح رئيس وزراء في سورية .. والامثلة على قيام اليهود العرب بالتظاهر بالاسلام يحتاج كتب لتفصيلة وهو منشور واكتب اي جملة بهذا المعنى بالعربية تجد عشرات الصفحات ويهود المغرب خاصة لهم باع طويل في ذلك!

محمد الغزالي عندما طردوه من الاخوان اصدر كتاب : قذائف الحق شرح فيه ماسونية حسن البنا وحسن الهضيبي الذي لم يكن من الاخوان ولكن الماسونية نصبته خلفا لحسن البنا بعد مصطفى السباعي الماسوني الحمصي المعروف وتلميذ حسن البنا الذي عمل بقيادة غلوب باشا الماسوني اليهودي البريطاني..

الماسونية رفعت شعار : حرية عدالة مساواة, واخوان حسن البنا رفعوا نفس الشعار: حرية . عدالة. وبقيت المساواة!!

والآن لننقل عن حسن البنا نفسه من كتاب (حديث الثلاثاء) الذي جمعه تلاميذه من درسه الذي كان يعقده كل يوم ثلاثاء ليشرح لهم الإسلام من وجهة نظر يهودية، كما كان يفعل قديمًا كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه حين كانوا يشرحون التوراة في المسجد.

الشيخ حسن البنا، قبل نحو ثمانين سنة، في خطبة له عام 1940وقف وقال ما يلي بالنص:

لعل قائلاً يقول: لماذا كانت أكثر القصص التي عُني بها القرآن هي قصة بني اسرائيل؟ ولماذا اخذت الجزء الأوفى من قسم القصص في القرآن الكريم؟

يقول البنا، «إنّ لهذا عدة اسباب:

السبب الأول: هو كرم عنصر هذا الجنس ! وفيض الروحانية القوية التي تركزت في نفسه !! لان هذا الجنس قد انحدر من اصول كريمة !! لهذا ورث حيوية عجيبة !! وإن كان قد أساء إلى نفسه وإلى الناس بتوجيه هذه الحيوية فيما بعد إلى ما لا ينفع.. انحدر هذا العنصر من يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، فورث الروحانية كابرًا عن كابر!!

السبب الثاني : "إنّ هذا الجنس يمثل حيوية لم يظفر بها جنس كما ظفروا بها، وكما أنّ هذه الحيوية كانت مصدر تزكيتهم كانت أيضًا من مصدر غرورهم ونسيانهم المعنى الإنساني العام الوارد في قوله تعالى:{ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا . إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم } [1]

السبب الثالث: "فهو أنّهم ورثة اقدم كتاب سماوي عرف الناس عنه شيئًا، وهو التوراة، وكانوا الصق الناس بالأمة العربية في ذلك الوقت."

أمّا السبب الأخير: فهو أنهّم نشؤوا من البدو ثم تكونوا، ثم اضطهدهم العدو، ثم تحرروا، ثم سادوا، ثم تحولوا، فكانوا مثلًا طيبًا لتجلية هذه الأدوار، وأنت حين تقرأ يا أخي القرآن تجد هذا المعنى واضحًا في كتاب الله تبارك وتعالى."

ولكن أين استقر اليهود ؟! وما علاقتهم بفلسطين؟! ومتى كان ذلك بموجب تحليل الشيخ حسن البنا في حديثه للاخوان؟

يقول البنا: «رسالة سيدنا موسى عليه السلام كانت ((في مصر))، ونريد أن نتناول صلة رسالته بهذه الأمة» أي الأمة المصرية!

ثم يقول: «لقد وُجد الإسرائيليون في مصر، (وإن كان وطنهم الأصلي فلسطين) وكان أول من أقرهم يوسف عليه السلام (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97)

[1] . الحجرات : 13.

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)[1]

ثم يقول البنا: «وقد (أقطعهم سيدنا يوسف عليه السلام الجهات الشرقية من ارض مصر) وكانت لاتزال ارضًا صحراوية، وإنّما أقطعهم إياها لأنهّم آتون من البدو، ولأنّه أراد ألا يمزج بينهم وبين المصريين الذين كانوا في ذلك الوقت على ديانة وثنية، ويعقوب والأسباط من أبناء يعقوب على التوحيد الخالص، فلم يشأ أن يكون هناك مثار للجدل الديني بينهم وبين المصريين."

إشادة البنا إذن. باليهود.. جاءت واضحة ! فقد حاول أن يفسر سبب كثرة الأنبياء في بني إسرائيل، وأشار بالنص إلى "كرم عنصر هذا الجنس" ، أي اليهود، و«فيض الرو حانية القوية التي تركزت فيه" وقال عن الجنس اليهودي إنّه "قد أنحدر من أصول كريمة، ولهذا ورث حيوية عجيبة" وأضاف أنّها "حيوية لم يظفر بها جنس كما ظفروا بها"! وتجاهل ما وصفهم الله به في القرآن الكريم.

وأكد مرشد الإخوان كذلك أنّ بني لإسرائيل "ورثة أقدم كتاب سماوي عرف الناس عنه شيئًا وهو التوراة»، وأنّ اليهود «وطنهم الأصلي فلسطين"!

هذه الآراء والاجتهادات، أعلنها عام 1940 حسن البنا، بحضور جمع وشهود من الإخوان المسلمين. وقام أحد الإخوان بتسجيلها بدقة في كتابه المشار إليه. وقد صرح البنا بكل هذا دون ضغط أو إكراه من الحكومة المصرية ودون أي تدخل من الصهيونية أو الموساد، وقبل أن تبدأ مرحلة السادات ومباحثات السلام ويتم توقيع اتفاقية كامب ديفيد...

هذا وقد جعلوا هدف التنظيم إقامة دولة الخلافة الإسلامية" وذلك بتكفير المجتمعات والحكومات الإسلامية وإشاعة الفوضى وإثارة الفتن والحروب الأهلية بهدف إسقاط الدول العربية

[1] . يوسف : 93-99.

والإسلامية القائمة بعد الاستقلال من الاستعمار لإقامة دولة الخلافة، وجعلوا المنتمين لهذا التنظيم من أبناء الشعوب العربية والإسلامية يعملون على هدم مجتمعاتهم بأنفسهم، ويسهرون الليالي لتخطيط ما سيقومون به من عمليات إرهابية تخريبية لبلادهم، هذا ما أقر به أحد المنشّقين عن تنظيم الأخوان" في السعودية الأستاذ خالد السبيعي في تسجيل فيديو تمّ تناقله ونشره في مواقع التواصل الاجتماعي. ودولة الخلافة الإسلامية هي الأكذوبة الكبرى للأخوان المسلمين، فلا يوجد في التاريخ الإسلامي دولة تُمسى "دولة الخلافة الإسلامية،" وهذا ما أثبته تاريخيًا، ولا يوجد حديث نبوي صحيح يُشير إلى ذلك، والمرجع الأساسيّ للمنادين ب"دولة الخلافة" الذي يبشرون به ويقدمونه بين أيدي النّاس في خطبهم على المنابر والفضائيات، ويُغرّرون شبابنا به، ويقسمون لهم بالله أنّه حقّ ووعد من الله وما عليهم إلّا أن يثبتوا ويصبروا ويصابروا ويرابطوا في ثغور الكهوف بين الجبال ويجمعوا العتاد والرجال إلى أن يأتي الخليفة العادل سائرًا على منهاج النبوّة فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا. هذا الحديث هو: "حدثنا سليمان بن داود الطيالسّي، حدّثني داود بن إبراهيم الواسطي، حدّثني حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير، قال: كنا قعودًا في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال:يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم" تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة". ثم سكت. قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته،

فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين، يعني عمر، بعد الملك العاض والجبريّة، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز، فسُر به، وأعجبه".[1]

وعند بحثنا عن سند هذا الحديث نجد فيه داود بن إبراهيم الواسطي الذي يروي عن حبيب بن سالم حديث الخلافة على منهاج النبوّة والذي وثّقه الطيالسّي هو نفسه داود بن إبراهيم قاضي قزوين، الذي قال عنه الرازي متروك، وكان يكذب، وهو نفسه داود بن إبراهيم العقيلي الواسطي الذي قال عنه الأزدي: كذّاب. فالحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بغضّ النظر عن أنّه حديث آحاد تفرّد به داود بن إبراهيم، فهو حديث موضوع، ففي سنده داود بن إبراهيم الواسطي، وهو متروك وكان يكذب. ومن حيث المتن، فالرسول صلى الله عليه وسلّم لم يُعيّن خليفة بعده، وفي اجتماع السقيفة، قال أحد الأنصار للمهاجرين، أمير منّا، وأمير منكم، وهذا أكبر دليل على عدم صحة الحديث، لأنّ هؤلاء صحابة رسول الله، ولو كان قال صلى الله عليه وسلّم هذا الحديث، لقال الأنصاري خليفة منّا، وخليفة منكم.

القول إنّ نظام الحكم في الإسلام، هو نظام الخلافة لا غير" قول يُغاير الحقائق التاريخية الثابتة، فلا يوجد نظام خلافة نسير عليه، ولم يُطلق" خليفة" إلّا على سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، باعتباره خليفة رسول الله، والذين تولوا الحكم بعده(عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم) كان يُطلق على الواحد منهم " أمير المؤمنين" وأطلق المؤرخون المسلمين مصطلح "الخلفاء الراشدون" على الأربعة الذين حكموا بعد وفاة رسول الله للتمييز بينهم وبين من تولى الحكم بعدهم؛ إذ اتسمت فترة حكمهم بالعدل وإشاعة الفضائل والقيم الخلقية، والتطبيق الأمثل للشريعة الإسلامية. فالأربعة الذين تولوا الحكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليهم وسلّم تولى كل واحد منهم الحكم بطريقة غير التي تولاها الذي قبله. وعلى المسلمين أن يختاروا من هذه الطرق ما يناسب عصورهم وظروفهم، فالرسول صلى الله عليه وسلّم لم يحدد من يتولى حكم

[1]. مسند أحمد: 18031.

الدولة الإسلامية بعده، وإنّما أعطى بعض الإشارات، كقوله عند مرضه" مروا أبا بكر فليصل بالنّاس"، فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه تولى الخلافة بالانتخاب، وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه عهد له أبو بكر رضي الله عنه بالحكم من بعده، بينما سيدنا عثمان رضي الله عنه تمّ انتخابه من الستة الذين رشحهم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لتولي الحكم من بعده، وهم: عثمان بن عفّان، وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله من عمر رضي الله عنهم، وتنازل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن المنافسة، وقد وضع سيدنا عمر أسس وقواعد الانتخاب، والتقت وجهات النظر حول عثمان وعلي رضي الله عنهما، وانحصر الأمر بينهما إلى أن اجتمعت الأغلبية على عثمان رضي الله عنه، ففاز بها. أمّا علي رضي الله عنه، فهناك من بايعه إثر استشهاد عثمان رضي الله عنه حتى لا تتسع دائرة الفتنة، وخذله نفر من المسلمين، ومنهم من أنكر عليه الحكم. وبعد استشهاد علي رضي الله عنه عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه الحسن الذي قضى ما يقارب السبعة أشهر في الحكم، ثمّ تنازل عنه لمعاوية بن أبي سفيان الذي عمل على التوصية بالخلافة- خلال حياته- لابنه يزيد. وبعد وفاة معاوية أصبح ابنه يزيد هو الحاكم، وقد رفض بعض الصحابة من ضمنهم الحسين بن علي رضي الله عنه ذلك، وقرر الدعوة لنفسه رافضًا تحوّل الحكم إلى حكم وراثي، مما أدى إلى نشوب معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن على يد عبيد الله بن زياد، وبعد وفاة يزيد تولى ابنه معاوية مقاليد الحكم وراثيًا، ولكنه أعلن رفضه للأمر، وقرر الانعزال وترك الأمر شورى بين المسلمين. وفي تلك الأثناء كانت البيعة قد تمت لعبد الله بن الزبير في العراق، إلا أنّ مروان بن الحكم تم اختياره من قبل الأغلبية خليفة للمسلمين، ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان والذي خرج عليه عبد الله بن الزبير في الحجاز، ونشبت معارك قادها رجل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي انتهت باستشهاد عبد الله بن الزبير بجوار الكعبة لينتهي بذلك الأمل في عودة الحكم إلى شورى بين المسلمين. وبعد هذه الصراعات الدموية يُعتبر بداية تولي

معاوية بن أبي سفيان الحكم هي بداية تحويله من الانتخاب إلى حكم وراثي منحصر في أسر حاكمة تتنافس فيما بينها عليه، ومن المغالطات التاريخية الكبرى للأخوان اعتبار حكم الأمويين والعباسيين، ثُم العثمانيين يمثل "دولة الخلافة الإسلامية"، وأنّها الكيان التنفيذي لأحكام الإسلام، ترعى الشؤون؛ فتحفظ الدين والعرض والنفس والمال، وتحمي الثغور، وتزيل العوائق والحواجز من أمام تبليغ رسالة الإسلام.

وأنّ حكم الأُمويين والعباسيين، ثم العثمانيين يمثل دولة الخلافة الإسلامية كدولة قوية ترعى الشؤون؛ فتحفظ الدين والعرض والنفس والمال، وتحمي الثغور؛ إذ نجدهم يُزوِّرون الحقائق التاريخية مصوّرين أنّ نظام دولة الخلافة في كل مراحله جعل الدولة الإسلامية قوية مهابة من الكافرين، وأنّ نظام الحكم في الإسلام" الخلافة لا غير"، وأنّ المسلمين كانوا طَوَالَ عهد خلافتهم أقوياء بربهم أعزاء بدينهم، إذا قالوا قولة دَوَّت في جنبات الدنيا، وإذا فعلوا فعلًا أدخل الرعب في قلوب الكافرين" فُتعلى كلمة الله في الأرض، أي هي الطريقة العملية الشرعية لإقامة الإسلام وتطبيقه في الداخل وحمل دعوته إلى العالم. ولا يتحقق ذلك إلّا بأن تكون الحاكمية لله وحده والسيادة لشرعه. ولو رجعنا إلى تاريخ دولة الخلافة في عصورها الثلاث (الأموي، والعباسي، والعثماني) نجد الآتي:

1. الدولة الأموية(41- 132هـ/ 662- 750م) رغم أنّها حقّقت توسعًا ونهضة كبيريْن لكن فترة حكمها كانت مليئة بالثورات والقلاقل مثل ثورتي الحسين بن علي رضي الله عنه، وعبد الله بن الزبير، وانتهت بمقتلهما، وكذلك ثورات الخوارج.

2. الدولة العباسية(132- 656هـ/750-1258م) ما مضى 6 أعوام على حكمها إلّا وعبد الرحمن الداخل أعلن قيام الدولة الأموية بالأندلس، وسلطة الخليفة العباسي لم تكن على نمط واحد، وإنّما تفاوتت، ممّا جعل المؤرخين يُقسِّمون مدة الخلافة العباسية إلى عصور ثلاثة، تختلف ملامح كل عصر منها عن سواها بمقدار ما كان للخلفاء من سلطان، هي: العصر

الأول(132 –232هـ)وفيه كان الخلفاء يتمتعون بالسلطة في الدولة الإسلامية ماعدا الأندلس، ودول أخرى بدأت تستقل استقلالًا تامًا كالأدارسة، أو استقلالًا شبه تام كالأغالبة والطّاهرية والزيادية. العصر الثاني(232 –590هـ): وفيه ضاعت السلطة من أيدي الخلفاء، وآلت إلى:

أ. الأتراك(232– 334هـ) مع ملاحظة أنّ هذا العصر يشمل عهد صحوة الخلافة خلال خلافة المعتمد والمعتضد، وعهد الاضطراب، وسلطة نساء القصر بعد هذه الصحوة، وعهد إمرة الأمراء في السنين العشر الأخيرة منها.

ب. البويهيين(334– 447هـ)وقد شمل سلطان العراق وفارس والأهواز وكرمان.

ج. السلاجقة(447– 590)وقد شمل حكمهم العالم الإسلامي كله ما عدا الأندلس ومصر وشمال إفريقية. العصر الثالث:(590– 656هـ) وفيه استعاد الخلفاء العباسيون السلطة، ولكن في منطقة بغداد وما حولها، وظلوا كذلك حتى دهم التتار العالم الإسلامي، ودمروا صورًا ضخمة من حضارته، وقتلوا الخليفة العبّاسي، وأنهوا أسرة بني العبّاس.[1]

وفي العصريْن الثاني والثالث قامت أيضًا الدولة الطولونية في مصر(254– 292هـ)، ثمّ قامت الدولة الأخشيدية(323– 358هـ /945–969م)،وقامت الدولة الفاطمية في تونس، ثم في مصر(358– 567هـ /969–1171م)وقامت دولة المرداسيين في حلب(414–472هـ/1023–1079م)، ودولة البوريون في دمشق(497– 549هـ /1103–1154م)والدولة الزنكية في الموصل والجزيرة، وسوريا، ومصر(521– 660هـ /1127–1262م)والدولة الأيوبية في مصر وسوريا (564– 648هـ/1169–1250)ودولة المماليك في مصر وسوريا(648–923هـ/1250–1517م)وكذلك في الهند وأندونيسيا.

[1]. شلبي . د.أحمد .التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. 4/24،23..

3. الدولة العثمانية((1923 –1299م قامت على الاحتلال، فالعثمانيون من الأتراك المغول قدموا من أواسط آسيا الصغرى، وخاضوا حروبًا ومعارك حتى تمكنّوا من تكوين دولتهم، ولو كان هدفهم نُصرة الإسلام، لما حاربوا لغة القرآن بفرض سياسة التتريك والعزلة على ولاياتهم العربية منها وغير العربية، وفي ظل حكمهم، وليس بعد سقوطه وقعت الولايات العثمانية في البلاد العربية والإسلامية في أيدي الاحتلال البريطاني والفرنسي والهولندي والأسباني والبرتغالي باستثناء الحجاز التي حفظها الله لأنّ بها الكعبة المشرفة والحرميُن الشريفيْن، وإن كانت الخلافة كما يدعون تحفظ الدين والعرض والنفس والمال والثغور لماذا لم تحمهم الخلافة العثمانية؟

فأين هي دولة الخلافة القوية الموحدة أمام كل هذه الصراعات الدموية والانقسامات التي شهدتها الدولة عبر تاريخها التي غرّر بها الأخوان شباب الإسلام لقتال بني أوطانهم وتدمير بلادهم، وإشاعة الفوضى فيها والقيام بعمليات إرهابية تحت شعار وهمي، هو تكوين" دولة الخلافة الإسلامية" لتحقيق هدفهم في الوصول إلى السلطة؛ إذ أقاموا دعوتهم على :

1. حديث موضوع.

2. فتاوى تكفيرية تكفر الشعوب والحكومات لتبرير قتالها وإسقاطها مع أنّ الإسلام لم يُبح قتال غير المسلمين إلّا إذا قاتلونا.

3. تزييف في الحقائق التاريخية مستغلين جهل المسلمين بتاريخهم.4

. التحالف مع أعدائنا لتحقيق أهدافهم السلطوية.

5. التغرير بشبابنا، مستغلين ترويج الخطاب الديني المُفسّر من قبل البشر لدولة الخلافة.

والسؤال : هل القوى الكبرى الطامعة في بلادنا ستدعهم يكوّنون دولة إسلامية موحدة تشمل البلاد العربية والإسلامية؟ إنّها تستغل دعوتهم في تفتيت وتقسيم البلاد العربية وتدميرها وإشاعة الفوضى فيها لتتمكن منها، وستقضي على الأخوان بعد انتهاء مهمتهم.

على علماء الأمة أن يهبّوا لإنقاذ أمتهم من الدّمار الشامل بتصويب الخطاب الديني المفسّر من قبل البشر، وليبدأوا ببيان عدم صحة حديث دولة الخلافة، متنًا وسندًا، مع تأكيد الحقائق التاريخية بعدم صحته.

الفصل الثالث

مفهوم الجهاد في سبيل الله لدى دُعاة الخلافة

تعريف الجهاد

من المؤسف حقًا أنّنا نجد أنّ من دعاة دولة الخلافة قد تمكّنوا من الدخول في لجان وضع المناهج التعليمية، فعند متابعتنا لمناهج الثقافة الإسلامية والتاريخ في مختلف السنوات والمراحل الدراسية نجد أنّ مُعدّي تلك المناهج ردّدوا فيها مفاهيم دعاة الخلافة للقتال ، في أنّ القتال لنشر الإسلام من أنواع الجهاد في سبيل الله، فقد جاء في درس الجهاد في سبيل الله في منهج الحديث والثقافة الإسلامية لثالث ثانوي بنين لأقسام العلوم الشرعية والدينية طبعة 1428–1429هـ الموافق 2007– 2008م، نجد إطلاق هذا السؤال:" متى يكون القتال جهادًا في سبيل الله؟

وجوابًا عن هذا السؤال، يقول معدو المنهج "أن يكون تلبية لأمر الله، وتضحية في سبيله، ونشرًا لعقيدة التوحيد، ودفاعًا عن حياض الإسلام" وديار المسلمين، وإعلاءً لكلمة الله، فهذا هو الجهاد في سبيل الله."[ص151]

وذات السؤال وذات الجواب نجدهما في درس الجهاد في سبيل الله في الثقافة الإسلامية لمادة الحديث(2)التعليم الثانوي نظام المقررات، طبعة 1441هـ/2019، ص 185، "متى يكون القتال جهادًا في سبيل الله ؟ والجواب:" لا يخرج القتال عن مقصدين: أن يكون تلبية لأمر الله وتضحية في سبيله ونشرًا لعقيدة التوحيد ودفاعًا عن حياض الإسلام وديار المسلمين وإعلاء لكلمة الله فهذا هو الجهاد في سبيل الله."

تعريف الجهاد في الاصطلاح

وجاء في تعريف الجهاد في الاصطلاح:" ... كما يشمل معنى القتال الذي شرعه الله تعالى لنشر الدعوة الإسلامية، وليتمكن الناس من الدخول في دين الإسلام للحماية وتوفير الأمن ولمواجهة الظلم والاضطهاد والفوضى..."

وفي منهج السيرة النبوية وتاريخ الدولة الإسلامية لسنة أولى ثانوي لعام 1424هـ/ 2003م، وقد وضعه وراجعه نفس الذين وضعوا منهج الحضارة الإسلامية لسنة ثانية ثانوي:" وقد سار الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم على نهج الرسول عليه الصلاة والسلام، وتبليغ الشعوب دعوة الإسلام، وإليك عرضًا موجزًا لامتداد الدولة"[1]

وفي منهج الدراسات الاجتماعية والمواطنة لثاني متوسط/ للعام الدراسي 1441هـ / ف1، ص 25، جاء هذا النص:" سار خلفاء بني أمية في سبيل نشر الإسلام ورفع راية التوحيد على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فتوسعوا في فتوحاتهم حتى وصف عصر الدولة الأموية بعصر الفتوحات الإسلامية .." ، وجاء في الصفحة التي تليها: "كثّف الأمويون جهودهم في سبيل نشر الإسلام في بلاد الروم، فرتب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حملات برية وبحرية متتابعة[2]

ولنتوقف عند الآتي:

1. ما جاء في تعريف الجهاد في الاصطلاح :" ... كما يشمل معنى القتال الذي شرعه الله تعالى لنشر الدعوة الإسلامية.

[1] . ص 47-48.

[2] . المصدر السابق: ص 26

2. القول بأنّ من مقاصد القتال جهادًا في سبيل الله نشر عقيدة التوحيد، وأنّ هذا هو من الجهاد في سبيل الله."

المفهوم الصحيح للجهاد

وهذان القولان لا يتفقان مع المفهوم الإسلامي الصحيح للجهاد في سبيل الله، فالإسلام أمرنا بقتال من يقاتلنا، ونهانا عن البدء بالعدوان(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [1](فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)[2] فهاتان الآيتان تلخصان مفهوم القتال في سبيل الله، ولا توجد آية قرآنية واحدة تنص على فرض الإسلام بالقتال، بل تدعو إلى اتباع الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إليه(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [3] وقد نص القرآن الكريم على الحرية الدينية في آيات كثيرة، منها:(لا إكراه في الدين) (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)[4] (لكم دينكم ولي دين)(وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[5] وليس القتال للبلاغ، فمن أين أتى واضعو المناهج بهذه الأقوال لتحريف معنى الجهاد في سبيل الله ، وجعله لفرض الإسلام بالسيف ليعزّزوا افتراءات المستشرقين التي أطلقوها ضد الإسلام؟

3. أمّا القول" سار خلفاء بني أمية في سبيل نشر الإسلام ورفع راية التوحيد على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فتوسعوا في فتوحاتهم" فهذا مغاير للحقائق التاريخية، ويؤكد هذا:

---

[1] . البقرة : 190.

[2] . البقرة : 194.

[3] . النحل : 125.

[4] . الغاشية : 21-22.

[5] . النور: 54.

- صحيفة المدينة وهي أول دستور مدني في تاريخ البشرية. تمت كتابته فور هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ويهدف إلى تحسين العلاقات بين مختلف الطوائف والجماعات في المدينة، وعلى رأسها المهاجرين والأنصار واليهود وغيرهم، حتى يتمكن بمقتضاه جميع سكان المدينة على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم من التصدي لأي عدوان خارجي على المدينة، فلم يفرض الإسلام عليهم، وهي عاصمة الدولة الإسلامية، بل أقرهم على دياناتهم ونظّم العلاقات بينهم، وجمعهم جميعًا على مواجهة أي عدوان خارجي يهدد أمنهم. [1]

2. أمّا حروب الصديق رضي الله عنه ضد المتمردين على الدولة بامتناعهم عن دفع الزكاة، ومُدّعي النبوة لإثارة الفتنة، وليس لارتدادهم عن الدين لأنّ القرآن الكريم لم ينص على أية عقوبة دنيوية للمرتد، فحسابه عند الله.

3. أمّا عن الفتوحات الإسلامية في العهود الراشدي والأموي والعباسي، فلم تكن غايتها فرض الإسلام، وإنّما كانت لحماية دولة الإسلام في الجزيرة العربية من الأخطار التي تهددها من الإمبراطوريتيْن الفارسية والبيزنطية، فقد أمّن الفاتحون المسلمون سكان البلاد المفتوحة على أديانهم وكنائسهم ومعابدهم وأموالهم، حتى اللغة العربية لم تُفرض عليهم بدليل لم يتم تعريب الدواوين إلّا في سنة م100هـ، أي بعدما تعلم

[1] . نشر في جريدة المدينة في 1/18 /2020. https://www.al-madina.com/article/668489/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%A8%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D9%84%D8%AF%D9%89-%D9%85%D8%B9%D8%AF%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AC%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-(1)

سكان البلاد المفتوحة اللغة العربية نتيجة اختلاطهم بالقبائل العربية التي رافقت الجيوش الفاتحة، واستقرت في تلك البلاد واختلطت بسكانها، وتصاهرت معهم.

هذا وممّا يؤكد على أنّ الفتوحات الإسلامية كانت لحماية الدولة الإسلامية، وليس لنشر الإسلام بالقتال انتشار الإسلام عن طريق التجار في كثير من البلاد وأصبح سكانها المسلمون يُساوون قرابة نصف العدد الإجمالي للمسلمين اليوم، ويتوزعون في ثلاث مناطق رئيسة في العالم.

وممّا لا يخفى على معدي المناهج وجود جماعات أطلقت على نفسها جماعات إسلامية، وكل جماعة منها تكفّر الأخرى، وتكفر الحكّام والمجتمعات، فأصبح المسلمون في نظر كل جماعة هم أتباعها فقط، ومن عداهم فهم كفار يجب قتالهم، حتى نجد أنّ بعض أولادنا ممن ضُلِّلوا بالانتماء لتلك الجماعات التي تقاتل في سوريا وجدوا أنفسهم يُقاتل بعضهم البعض لأنّ أمير جماعة كل فريق منهم يُكفّر الجماعات الأخرى، ويُبيح قتالها، والتمثيل بجثث القتلى، ونزع أكبادهم وأكلها، فأصبح مفهوم الجهاد في سبيل الله لدى هذه الجماعات ـ للأسف الشديد ـ هو قتال من يخالفهم الفكر في المجتمعات والجماعات الإسلامية لفرض فكرهم، ولو بحثنا عن أصل هذه الجماعات نجد معظمها متفرع من جماعة الأخوان الإرهابية، ويرجع وجود هذه الجماعات الدينية التكفيرية المتفرّعة منها التطرّف الديني الذي صحب ما عُرف بالصحوة الدينية التي انطلق رجالها يُصدرون فتاوى بغير علم، وفهم قاصر للنصوص القرآنية والحديثية الصحيحة يُكفِّرون المجتمعات والحكّام، من خلال اعتلائهم المنابر في المساجد ودروسهم الدينية التي سُجّلت في أشرطة كاسيت، وأصبحت تُباع في محلات الكاسيت واقتناها عدد كبير من شبابنا ذكورًا وإناثًا، وتبنّى كثير منهم ما فيها من فكر، وللأسف في بعض كتب التراث ما يُغذِّي الفكر التكفيري، الذي استغله أعداؤنا في التخطيط والتمويل لمحاربة المسلمين بعضهم البعض ليتم تقسيم الدول العربية إلى دويلات على أساس ديني ومذهبي وعرقي تتنازع فيما بينها لتظل إسرائيل الدولة الكبرى في المنطقة يسهل عليها السيطرة على تلك الدويلات، ونموذج

داعش مثال على ذلك، فلابد من إعادة النظر في جميع مناهجنا الدراسية وتحريرها من هذا الفكر المتطرّف، وتنقيتها من المصطلحات التي تُروِّج له.[1]

[1] . نشر في جريدة المدينة-https://www.al-madina.com/article/669675/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%A8%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D9%84%D8%AF%D9%89-%D9%85%D8%B9%D8%AF%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AC%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9(2)

الفصل الرابع

الرق والأسرى والسبايا وملك اليمين

الرق!

ممّا يؤسف له ترديد بعض أولادنا ما يوجهه أعداء الإسلام من شبهات ضده حول الرق دون أن يتمعنوا في معاني الآيات، ويربطونها ببعض البعض، بل نجدهم يُحاكمون الإسلام، ويحكمون عليه بموجب آراء مفسرين وفقهاء أخطأوا في فهمم للنصوص، معتبرين أنّ أقوال أولئك من عند الله، والله برئ مما يُنسب إليه ما لم يقله؛ إذ قال بعضهم تعقيبًا على مقالي عن الأسرى والسبايا:" سهيلة جانبها الصواب، ولو سلمنا بما سطرت، السبايا نوعًا ما أهون من الرّق. كان الرجال والنساء يباعون كالبهائم في حضرت النبي صلى الله عليه وسلم.(نص صريح في القرآن، الحر بالحر والعبد بالبعد في القصاص. وهناك اجماع لا يُحد حر بعبد بل دفع الدية)الرّق والسبايا نقطة سوداء في جبين الإسلام لا مجال لترقيعها. مجرد أن يضع من الكفارات عتق رقبة اعتراف صريح. والإيماء بحكم الرقيق بل إنجابها للولد يساعد على العتق."

وأقول هنا:

لقد كرّم الله الإنسان(ولقد كرّمنا بني آدم)ومن تكريم الإنسان الحفاظ على حريته، وعدم استعباده، واسترقاقه، فقد خلق الله الخلق لعبادته، وليس لعبوديتهم لغيره(وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون) وقد امتن الله تعالى على عباده المؤمنين من بني إسرائيل بنجاة نسائهم من استباحتهن قائلا:(إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) [1].فالرق لم يأت به الإسلام، فهو متجذر في المجتمعات البشرية على اختلاف أديانها ومللها وحضاراتها في مختلف الأزمان، وابتلي الإسلام به، كما ابتُليْت به البشرية، ولم تكن كفارات العتق اعترافًا به، وإنّما تضييقًا عليه؛ إذ أصبح متجذرًا في تلك المجتمعات –رغم تحريم اليهودية والمسيحية لاسترقاق الأسيرات [2]، فليس من السهولة إلغاء الرق فجأة. فلابد من التدرج في ذلك، فالخالق هو الأعلم بطبائع خلقه؛ لذا حرص الإسلام على توسيع دائرة العتق،

[1] . البقرة : 49.

[2] . الإصحاح21من سفر التثنية:10-14.

وتضييق دائرة الرق، فجعل العتق كفارة القتل الخطأ(وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ)[1]

والظهار(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..) [2] والحنث باليمين(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..)[3]وجعل من الصدقات فك الرقاب(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ..) [4] وحث على العتق وعظّم أجره (فلا اقتحمَ العقبَةَ. وما أدراكَ ما العقبة. فكُّ رقبة)[5] وعلى مكاتبة ملك اليمين لتحريرها(وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ..)[6] بل جفف منابع الرق بتحريمه استرقاق الأسرى والسبايا(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)[7] (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ)[8] ، والقول إنّ إنجاب الأمة الولد يساعد على عتقها خطأ فقهي ناتج عن مدى تأثير الموروث الفكري والثقافي على الفقهاء. وقد أخذ الكثير به دون التمعن في آيات الله، ومنها **(وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ)** [9]

---

[1] . النساء: 92.

[2] . المجادلة : 3.

[3] . المائدة: 89.

[4] . التوبة : 60.

[5] . البلد : 11-13.

[6] . النور : 33.

[7] . محمد : 4.

[8] . الأنفال : 70.

[9] .النور : 32.

فبموجب هذه الآية لا تتم علاقة جنسية بين الأمة ومالكها إلّا بعقد زواج برضاها، ودفع مهر لها، ومهرها عتقها، كما قال عليه الصلاة والسلام، فالزواج من الإماء من تضييق دائرة الرق.

تصحيح مفهوم السبايا

ما أثاره البعض " الأسرى والسبايا"؛ إذ قالوا: "الرّق والسبايا نقطة سوداء في جبين الإسلام لا مجال لترقيعها" ورددت في الصفحات السابقة عمّا أثاره عن الرق، وسأتوقف هنا عند السبايا، فقد حسمته الآية(4)من سورة محمد، **بإطلاق سراحهن بعد انتهاء الحرب إما بالفدية على اختلافها، أو إطلاق سراح بدون مقابل،** وما نسب إليه عليه الصلاة والسلام من استرقاق الأسرى، والتسري بالسبايا غصبًا بلا عقد زواج روايات موضوعة؛ إذ من المحال أنّه وهو مبلغ الوحي يخالف ما جاء فيه، ولو صدرت منه أية مخالفة لعاتبه الله على ذلك، والدليل أنّ ليس لديه جوار ولا إماء، أنّه كان يرقع ثوبه بنفسه. ولوكان صحابته رضوان الله عليهم لديهم جوار من السبي، لما طلبت فاطمة بنت رسول الله، وزوجة علي كرّم الله وجهه أن تساعدها خادمة، ثم لم نسمع أنّ لأى من الصحابة أولاد من جوار وإماء؟ وما ذكر في كتب السير والتاريخ والتفسير عن إباحة الإسلام استرقاق الأسرى والسبايا والتسري بالإماء والجواري من صنع الأمويين، ومن بعدهم العباسيين، ثم العثمانيين ليبحوا لأنفسهم ما حرّمه الله عليهم، فما تذكره تلك الكتب عن التسري بالإماء والسبايا يتناقض مع حياته عليه الصلاة والسلام في بيته، التي نقل لنا كتاب السيرة أنفسهم أدق تفاصيلها، كما لا يتفق مع حياة الخلفاء الراشدين، وسائر صحابته رضوان الله عليهم، بل الصديق رضي الله عنه كان يشتري العبيد والإماء من كفار قريش ليعتقهم ويخلصهم من تعذيب مسترقيهم لهم، أمّا ما روى في سنن البيهقي وفي إرواء العليل، وفي المبسوط للسرخسي، وغيرها أنّ لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه إماء يخدمن الضيفان كاشفات الرؤوس مضطربات الثدي، فهي روايات موضوعة لا تتفق مع شخصيته رضوان الله عليه، وهو القائل:"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا"، فعمر بن الخطاب لم تكن له إلّا زوجة واحدة بعد إسلامه هي أم كلثوم حفيدة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، إذ طلق زوجاته الثلاث اللاتي تزوجهن في الجاهلية لرفضهن الدخول في الإسلام امتثالًا لقوله تعالى(ولا تُمْسِكوا بعصم الكوافر)[1]

وفي عهده وقعت في الأسر شاه زنان بنت يزدجرد بن أنوشروان أميرة فارسية، واسمها يعني باللغة العربية "ملكة النساء"ولقبت بـ "سلافة" وهي ابنة آخر أكاسرة الفرس. بعد انتصار الجيوش العربية على الجيوش الفارسية في الفتوح الإسلامية، وقد زوّجها الفاروق رضي الله عنه للحسين بن علي بن أبي طالب باختيارها هي؛ إذ قيل لها:"من تختارين من خطّابك؟" فاختارت الحسين رضي الله عنه، وأنجب منها ابنه علي زين العابدين، فلم يأخذها الخطاب رضي الله عنه لنفسه ليتسرى بها، ممّا يؤكد وضع تلك الروايات المنسوبة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبايا والتسري بهن.

والذي أود الإشارة إليه أنّ صحة الرواية لا تقاس بمدى صدق وحسن حفظ رواتها فقط، وإنّما تقاس أيضًا بسلامة المتن، وتوافقه مع القرآن الكريم والسنة الفعلية، ومع شخصية المنسوب إليه فعلها، أو قولها.

أمّا ما قاله البعض عن نص صريح في القرآن، الحر بالحر والعبد بالبعد في القصاص. وهناك اجماع لا يُحد حر بعبد بل دفع الدية"

كان لابد الرجوع إلى تفسير الإمام أبي زهرة للآية(178)من سورة البقرة التي تم الاستشهاد بها، قبل الحكم على الإسلام، ولكن للأسف كثيرًا من شبابنا يتقبلون ما يُقال لهم عن القرآن الكريم دون بحث وتدقيق وتمحيص. يقول الإمام أبو زهرة في تفسيره لهذه الآية:" قد فصّل الله تعالى حكم القصاص، فقال تعالت كلماته الحر بالحر أي الحر يقتل في مقابل الحر، والعبد بالعبد والعبد يقتل في مقابل العبد، والأنثى بالأنثى والأنثى تقتل في مقابل الأنثى. هذا هو العدل، وهو رد على الجاهليين الذين كانوا لا يسوون في الدماء، فالعبد إذا قتل حرًا من قبيلة أو الحر

[1]. الممتحنة : 10.

إذا قتل حرًا من قبيلة، وكان الأول من دهماء الناس، وكان الثاني من أشرافهم لا يقتل به بل يبحث عمن يكافئه، وربما لا يكافئه واحد، وذلك من العصبية الجاهلية، ومن نظام التفاوت الذي لا يزال يسري بين الناس مقيتًا، وإن كان مألوفًا. وبيّن القرآن حال المساواة في الوصف من حرية ورق، وذكورة وأنوثة، ولم يذكر إذا اختلف الوصف أو الجنس بأن قتل الحر العبد، والعبد الحر، والمرأة الرجل، والرجل المرأة، وذلك لأنّ النص سيق لإبطال العادة الجاهلية التي كانت تقتل غير القاتل، وتتعدى القاتل إلى قبيلة، وغير الشريف في زعمهم إذا كان هو القاتل إلى شرفائها، فرد الله تعالى زعمهم، وصحح الأمر في هذا المقام بالقصاص العادل .أما التساوي في النفوس لا في الأوصاف، فقد ثبت بقوله تعالى:(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ..) [1]

أمّا القول بأنّ هناك" إجماع لا يُحد حر بعبد بل دفع الدية" فهو قول ليس بصحيح، فقد قال الإمام أحمد ونفاة القياس والثوري وبعض الكوفيين: "إن الحر يقتل بالعبد إذا قتله; لأنّه نفس والإسلام جعل أساس القصاص المساواة في النفوس، ولقوله عليه الصلاة والسلام" النفس بالنفس " وهؤلاء الذين قالوا إن الحر يقتل بالعبد قالوا : إن المالك يقتل إن قتل عبده ،لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه النسائي وأبو داود:" من قتل عبده قتلناه ، ومن جدعه جدعناه ، ومن أخصاه خصيناه " [2]

للأسف الشديد كثير من أولادنا الذين سقطوا في مستنقعي الإرهاب والإلحاد يستمعون إلى ما يُثيره المخطّطون لإيقاعهم في هذْين المستنقعين من شبهات حول الإسلام، باجتزائهم النصوص القرآنية من سياقها، وعدم ربطها بما قبلها، أو بعدها، وكذلك دون معرفة المعنى المقصود منها، فهم للأسف واقفون على قواعد هشّة، يقبلون ما يُقال لهم عن دينهم وخالقهم دون تمعّن وتدقيق ومعرفة حقيقية بواقع البشر، وتاريخ الإنسانية وأحوال مجتمعاتها، لأنّ تربيتنا الأسرية لم تقم على الحوار والنقاش، في حين تربيتنا التعليمية قامت على التلقي والحفظ الصم، وعدم إعمال العقل والتمعن والتدبر والنقاش والحوار، فدرسّناهم في مناهجنا عن الرق والسبايا كما يردده

[1] . زهرة التفاسير: ص 532، 533.

[2] . المرجع السابق . ص 534.

عليهم المخطِّطون لجرهم إلى الإرهاب، أو الإلحاد، كما نجد بعض علماء الإسلام يرددون ذلك أيضًا!

وأقول هنا لأولادنا وبناتنا لا تفرطوا في الإسلام، تمسكّوا به، فهو والله الدين الحق، وأعداؤه يريدون تشويه صورته أمامكم، فلا تصدقوا ما يقولونه لكم عنه، فكروا وابحثوا وتدبروا، صحيح يوجد أخطاء في مفاهيم بعض الآيات، بُنيت عليها أحكام فقهية خاطئة، تأثرًا بموروثات فكرية وثقافية، أو لعوامل أخرى، ولكن لديكم قاعدة أساسية ابنوا عليهم موقفكم من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ـ ودعكم من قال فلان.. وقال علّان ـ أنّ الإسلام دين الرحمة والتسامح والإنسانية والعدل والمساواة والسلم والخلق القويم، وما يُقال لكم عنه خلاف ذلك فلا تصدقوه.

الأسرى والسبايا

لقد وضع الإسلام بمبادئه الملائمة لكرامة الإنسان نظامًا خاصًا للأسرى ملغيًا بذلك العبودية الموروثة من التاريخ ومن المجتمع الجاهلي.

ومن الافتراءات الباطلة ما يُنسبه الإرهابيون والملحدون إلى ما تقوم به داعش من سبي النساء واغتصابهن، وبيعهن إلى الرسولﷺوصحابته، قائلين ما يفعله داعش فعله محمد وصحابته، ويرجع هذا لسوء فهم ملك اليمين بإباحة وطأهن من قبل من يملكهن بدون عقد زواج، من ذلك ما ذكره الطبري في تفسيره للآية(3)من سورة النساء بقوله: "...فإن خفتم أيضًا الجور على أنفسكم في أمر الواحدة، بأن لا تقدروا على إنصافها، فلا تنكحوها، ولكن تسرَّوا من المماليك، فإنكم أحرى أن لا تجوروا عليهن، لأنهن أملاككم وأموالكم، ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذي يلزمكم للحرائر، فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور." وللأسف فإنّ الإمام الطبري أخطأ في تفسيره لهذه الآية، وكيف يُنسب هذا المعنى لله عزّ وجل؟فلم يرد في الآية ما يشير إلى التسري بالمماليك، فالنص يتحدث بوضوح عن الزواج من ملك اليمين إن لم تسمح له ظروفه المالية الزواج من الحرة ف(أو ما ملكت أيمانكم) معطوفة على (فانكحوا ما طاب لكم..)ولنتأمل الآية معًا لتتضح أمامنا الصورة(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا

مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا)

وما ذخرت به كتب التراث من أحكام استرقاق الأسرى، واستباحة الأسيرات يتنافى تمامًا مع ما جاء في القرآن الكريم، ومع السنة الفعلية، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يُبح لنفسه استرقاق الأسيرات، ولا استغلالهن جنسيًا، فقد تزوّج من جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار التي وقعت في السهم لثابت بن قيس, فكاتبته على نفسها, فأتت رسول الله لتستعينه في كتابتها، فقال لها رسول الله فالرسول صلى الله عليه وسلم :"**وهل لك في خيرٍ من ذلك؟**" قالت: "وما هو؟" قال: "**أؤدي عنك كتابتك, وأتزوجك**" قالت: "نعم يا رسول الله, لقد فعلت. ففعل رسول الله كما تزوّج صفية بن حيي بن أخطب النضيري الذي قتل بعد غزوة الخندق لتأليبه بني النضير وبني قريظة ضد المسلمين، وتحريضهم على قتالهم، وتحالفوا مع المشركين، فكانت غزوة الأحزاب، وكانت صفية من ضمن أسرى خيبر، فخيرها الرسول فالرسول صلى الله عليه وسلم بين الإسلام وزاوجه بها، وبين بقائها على دينها ، وإطلاق سراحها، فاختارت الإسلام والزواج بالرسول فالرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان مهرها مقابل إطلاق سراحها، وما ورد في صحيح البخاري عن زواج الرسول فالرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة صفية رضي الله عنها، روايات موضوعة؛ إذ كيف يتزوجها، ولم تمض شهور العدة؛ فقد قتل زوجها كنانة بن ربيع النضيري في غزوة خيبر، فكيف يدخل عليها رسول الله فالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم تمض مدة للتأكد من خلو رحمها من حمل؟

زواج الرسول بجويرية وصفية بعقد زواج شرعي

نسب البعض إلى الرسول صلى الله عليه وسلم **وصحابته استرقاقهم الأسرى والتسري بالسبايا والإماء، فنسبوا إلأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه تسرى** بالسيدتين جويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي رضي الله عنهما، وهذا افتراء، فقد تزوجهما بعقد زواج شرعي بعد إطلاق سراحهما، أمّا ما ورد من روايات عن تسري الرسول صلى الله عليه وسلم بمارية

القبطية وريحانة بنت شمعون اليهودية، فهذه روايات موضوعة ليبيحوا لأنفسهم التسري بالإماء وملك اليمين؛ فالقرآن لم يُبح ذلك بل نص في آيات قطعية الدلالة على الزواج من الإماء وملك اليمين، ولا يمكن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمر به خالقه:(وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ)[1] [النور:32](وإمائكم معطوفة على الأيامى، أي وانكحوا الأيامى وإمائكم، فأين معنى التسري بالإماء؟

والذي أحدث هذا اللبس في الفهم أنّ استرقاق الأسرى من الموروثات لدى الأمم والحضارات، **ولم يستوعب المفسرون والفقهاء والمؤرخون تحريم الإسلام استرقاق الأسرى، واغتصاب السبايا من النساء**، فليس هناك فرق بين الأسرى والرق في كتبهم، ويُفسّر قوله تعالى:(وما ملكت أيمانكم)أي الأسيرة التي تستعبد وتستمتع بمجرد ملك اليمين بالبيع والشراء، والذين ضموا أسرى الحروب إلي ملك اليمين خالفوا ما جاء في القرآن الكريم عن الأسرى الذي تبيّنه الآية الكريمة(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)[2]

فبعد انتهاء الحرب يكون الوضع بالنسبة للأسرى إما إطلاق سراحهم بلا مقابل، أو طلب فدية، تشمل مالًا، أو تبادل الأسرى، ولم يتطرق القرآن إلى استرقاق الأسرى لا من قريب ولا من بعيد، كما أنّ الرسول ﷺشرع لنا تبادل الأسرى في كثير من أحاديثه الصحيحة، وألحَّ على ذلك، كما روى مسلم في كتاب السير في حديث أياس بن سلمة عن أبيه أنّه أخذ امرأة من العرب رقيقاً بعد غزوة فزارة، فما زال رسول الله يطلب منه أن يهبه هذه المرأة حتّى فعل، فبعث بها رسول الله إلى مكّة وفدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسرى هناك.

[1] . النور : 32.

[2] . محمد : 4.

ولكن للأسف القول بنسخ هذه الآية جعل بعض العلماء يُفتون باسترقاق الأسرى من قبيل المعاملة بالمثل، لأنّ الأعداء يسترقون أسرى المسلمين، ويستبيحون أعراض الأسيرات المسلمات، وهذا يتنافى مع ما جاء في القرآن الكريم، ويتنافى مع تحقيق قوله تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [1]

فلكي نكون خير أمة أُخرجت للناس، علينا أن نتجنب المنكرات، ومن هذه المنكرات استرقاق الإنسان، واغتصاب عرضه، وإن كان أعداؤنا يفعلون ذلك بأسرانا، فلا ننزل إلى مستواهم، ولنرفعهم إلى مستوانا باتباعنا تعاليم ديننا التي جعلت المن والفداء هما طريقة التعامل بأسرانا من الأعداء، وللأسف الشديد نجد كتب التاريخ والفقه والتفسير تعتبر الأسيرات إماء مسترقات، فيطلق أصحابها عبارة أعتقها على الأسيرة، وأعتق الأسرى عند حديثهم عن زواج الرسول فالرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، فيقولون أعتقها وتزوجها، وعند سمع الصحابة بذلك، قالوا عن بني المصطلق أصهار رسول الله، فأعتقوا مائة من بني المصطلق، وكأنّهم أصبحوا عبيدًا بمجرد وقوعهم في الأسر، بل نجد القائلين بالناسخ والمنسوخ نسخوا كلمة(وأسيرًا)من آية(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [2] ،فقالوا الآية كلها محكمة باستثناء(وأسيرا) فهي منسوخة!!!!

[1] . آل عمران : 110.

[2] . الإنسان : 8.

ملك اليمين

لقد ورد مصطلح ملك اليمين في القرآن الكريم في(15)موضعًا، **بكل صيغها(مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) (مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) (مَلَكَتْ يَمِينُكَ)**

وقد فسرها كثير من المفسرين والفقهاء والمحدثين والمؤرخين طبقًا لأفقهم المعرفي المتوفر لديهم آنذاك على أنّها تعني اسيرات الحرب، ويتوزعن كمقتنيات بيتية على الصحابة وبأعداد مفتوحة وبدون عقد شرعي، كما كان هو السائد قبل الإسلام، والإسلام برئ ممّا نُسب إليه، فلا رسوله، ولا صحابة رسوله لديهم جوار من سبايا الحروب، لأنّه لا وجود هذا في صحيح الإسلام. لقوله تعالى(**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**) [1]

فهذه الآية تبيّن تحريم استرقاق الأسرى والسبايا، كما حرّم الله استرقاقهم في التوراة؛ إذ جاء هذا النص في الإصحاح(21)من سفر التثنية:"إذا خرجت لمحاربة اعدائك ودفعهم الرب الهك إلى يدك وسبيت منهم سبيا. ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة. فحين تدخلها إلى بيتك تحلق راسها وتقلم اظفارها. وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد في بيتك وتبكي أباها وأمها شهرًا من الزمان، ثم بعد ذلك تدخل عليها تتزوج بها فتكون لك زوجة، وإن لم تُسر بها فاطلقها لنفسها لا تبعها بيعا بفضة ولا تسترقها من أجل انك قد اذللتها".[2]

فالله جل شأنه حرّم استرقاق الأسرى في القرآن والتوراة، **فلا علاقة للأسرى بملك اليمين، ولا توجد دلالات في القرآن على ذلك، فالأسرى في القرآن هم الأسرى، يوضح هذا قوله:**(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)[3]

---

[1] . محمد : 4.

[2] . سفر التثنية : الإصحاح 21 . الآيات 10-14.

[3] . الأنفال : 67.

والتعامل معهم تعامل رحمة وعطف:(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) [1]

ويُشير إلى إطلاق سراحهم في قوله:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ)[2]

مصطلح ملك اليمين

فمن أين أتى ربط مصطلح "الأسرى" بمصطلح(ملك اليمين)مع أنّ هذا المصطلح مصطلح قرآني، لم يكن معروفًا قبل نزوله؟

إذًا مصطلح(ملك اليمين)لا يقصد به أسيرات الحروب، كما فهمها وفسرها مفسرو القرآن الكريم القدامي، ونقلها عنهم المؤرخون والفقهاء الذين بنوا أحكامًا فقهية عليه، **وردّدناه ودرّسناه ودرسناه منذ صدور تفسير الطبري للقرآن الكريم المتوفى(310هـ)– وهر أوّل تفسير للقرآن الكريم، وقد تناقله المفسرون التاليين له– إلى عصرنا هذا، وتبيّن هذا الخطأ عندما قامت داعش باغتصاب الأسيرات وبيعهن،** وعندما أثار أحد من يُطلق عليهم بدعاة، قضية العودة إلى زواج ملك اليمين معتبرًا أن "الشرع يحله"، فاعتبره بعض علماء الأزهر "يوقع الناس في إشاعة الفاحشة"، وبيّن الدكتور محمود مهنا، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر أنّ المراد بملك اليمين أمور كانت موجودة في ذلك الزمان، باعتبار الأسيرات ملك يمين، فلا زواج يمين ولا ملك يمين إلا في الحالات التي كانت أيام المسلمين الأوائل وغيرهم، وأشار إلى أنّه حتى في حال نشوب حروب اليوم بين المسلمين وغيرهم، فإنّ الإسلام لا يعتبر أسيرات الحروب ملك يمين، بسبب وجود قوانين تم تشريعها وسنها أجمع عليها علماء المسلمين بأنّهن أسيرات، ولسن ملك يمين."

[1] . الإنسان : 8، 9.

[2] . الأنفال : 7-.

فهذا القول كشف خطأ هذ المفهوم من حيث تناقض الدكتور مهنا في قوله، فكيف يكون ملك اليمين أسيرات الحروب في أيام المسلمين الأوائل، بينما لا يعتبر الإسلام أسيرات الحروب ملك يمين؟ ولو كان ذلك صحيحًا كيف تلغي قوانين وضعية تشريعًا إلهيًا؟

تأكد لنا ممّا سبق خطأ مفسري القرآن الكريم بربط ملك اليمين بأسيرات الحروب، وذلك لأنّهم جردوا مدلولات هذا المصطلح من سياقها، ووقع علماء معاصرون في خطأ العلماء القدامى بقبولهم لتفسيرهم الذي ألغى أزلية القرآن الكريم وصلاحية تشريعاته لكل زمان ومكان، فلم يعمل العلماء المعاصرون عقولهم لفهم سياق الآيات ومدلولاتها، فليس من المعقول أنّ الله يبيح حرامًا، ويُجمع علماء معاصرون– كما قل الدكتور محمود مهنا عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر– بحرمته لصدور أنظمة دولية تُحرّمه!

إنّ التّحليل بالسياق يُعدّ وسيلةً من بين وسائل تصنيف المدلولات، وفهم الآيات القرآنية، وهذا يتطلب عرض اللّفظ القرآنيّ على موقعه لفهم معناه ودفع المعاني غير المرادة. وللسّياق أنواع كثيرة منها السّياق المَكاني ويعني سياق الآية أو الآيات داخل السّورة، والسّياق الزّمنيّ للآيات، أو سياق التّنزيل، والسّياق المَوضوعيّ وهو الآيات التي يجمعها موضوع واحد، والسّياق المَقاصديّ ومعناه النّظر إلى الآيات القرآنيّة من خلال مقاصد القرآن الكريم، والسّياق التّاريخيّ، وهو سياق الأحداث التّاريخيّة القديمة التي حكاها القرآن الكريم ولمُعاصرة لزمن التّنزيل، والخاصّ هو أسباب النّزول، والسّياق اللّغويّ وهو دِراسةُ النصّ القرآنيّ من خلال علاقاتِ ألفاظِه بعضها ببعض والأدواتِ المستعملة للرّبط بين هذه الألفاظ، وما يترتّب على تلك العلاقات من دلالات جزئية وكلّية.

ولنطبّق هذا على مصطلحات" ملك اليمين"،" أزواج"،" المحصنات"

ولنبدأ بمصطلح" ملك اليمين"، وهذا المصطلح لم يعرفه العرب قبل الإسلام، وهو مكوّن من كلمتيْن، هما" ملك" و"يمين".

و"اليمين" جاء في آيات عديدة، منها:

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا)[1]

(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)[2]

(ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم)[3]

(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[4]

من هذه الآيات يتبيَّن لنا ان الأيمان هو الحلف والقسم بالله والعهد على الالتزام بما حلف عليه ويستطيع المسلم اذا حنث بيمينه ان يُكفر عنه بصدقه أو صيام، فإذًا معنى(ما ملكت أيمانكم)هو الشخص الذي أقسمتم اليمين بالله أن تكونوا أمناء عليه، وقد يكون هذا الشخص زوج، أو زوجة، أو أولاد، أو من تكلفون برعايتهم وحمايتهم من أطفال ويتامي، ولا تملكون أجسادهم ببيع وشراء، وإنّما تملكون حق حمايتهم ورعايتهم والإنفاق عليهم باليمين الذي أقسمتم على ذلك. والذي يؤكد صحةهذا المعنى، أنّه لم يرد ولا في آية واحدة من الآيات التي تحث على العتق ملك يمين، ولهذا دلالته، وهي أنّ ملك اليمين لا تعني المماليك من العبيد والجواري.

---

[1] . النحل : 91.

[2] . النحل : 92.

[3] . النحل : 94.

[4] . التحريم : 2.

كما أنّ كلمة(زوج) لها عدة معان، كما في قوله تعالى:(وكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) [1]

(وأنبتت من كل زوج بهيج)[2] (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) [3]

وخلاصة القول: إنّ لفظ(الزوج)في القرآن الكريم ورد على ثلاثة معان رئيسة: إما على معنى زوجة الرجل وحليلته، وإما على معنى القرين، وإما على معنى الصنف، والسياق والسباق هو الذي يحدد أي المعاني الثلاثة هو المراد

لكي نفهم معنى(ملك اليمين) لابد من الوقوف عند معاني مصطلحات(ملك اليمين) و(المحصنات)، وقد بيّنت في الصفحات السابقة معنى المصطلح الأول، وسأتحدّث الآن عن مصطلح(المحصنات)

معنى المحصنات

المتزوجات في كل الآيات الواردة فيها، فالإحصان قد يكون بالزواج، وقد يكون بالإسلام، وقد يكون بالعفة، ولو كان الإحصان بالزواج فقط، فكيف يكون(والمحصنات من النساء إلّا ما ملكت أيمانكم) [4]من المحرّمات، والله يُبيح الزواج بالمحصنات في الآية التي بعدها:(وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ)؟

لو دققنا في الآيتيْن نجد في الآية الأولى ذكر(المحصنات)فقط دون إلحاق صفة بهن، بينما في الثانية ألحق صفة المؤمنات بالمحصنات، لأنّ معنى الإحصان في الآية الثانية، هو الإحصان بالإيمان وليس بالزواج، كما في الآية الأولى .

---

[1] . الواقعة : 5-9.

[2] . الحج : 5.

[3] . الذاريات : 49.

[4] . النساء: 24.

هذا ونلاحظ في هاتين الآيتين ورود مصطلح(ما ملكت أيمانكم)بعد المحصنات

فالمراد ب(إلّا ما ملكت أيمانكم في قوله تعالى:(والمحصنات من النساء إلّا ما ملكت أيمانكم) ملك النكاح، والمعنى أن ذوات الأزواج حرام عليكم إلا زوجاتكم اللواتي ملكتم حق نكاحهن بعقد شرعي، أو بنكاح جديد بعد وقوع البينونة بينهن وبين أزواجهن، بينما معنى(فمن ما ملكت أيمانكم) في الآية الثانية أي ممن ملكتم ذمتهن بالزواج بعقد شرعي من فتيات أهل الذمة المؤمنات، بإذن أهليهن ودفع مهورهن(فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) فعقوبة اللكتابية إن أتت بالفاحشة بعد إحصانها بالزواج نصف عقوبة المسلمة المحصنة بالزواج، وهذه الآية دليل على أنّ لا رجم للزانية المحصنّة في الإسلام، لأنّ الرجم يعني الموت، والموت لا يُنّصّف.

ويؤيد معنى المحصنات قوله تعالى:(اليومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ و الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) [1]

لو نظرنا إلى السياق الموضوعي لآية النساء نجد في السياق العام **للآيات السابقة لها تتحدث عن علاقة الأزواج(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)و(وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ)**وجاءت بعد ذكر المحرّمات من النساء، ولا علاقة ذلك بموقعة أوطاس وسبايا هوازن التي أغلب المفسرين قالوا بنزولها في سبايا هوازن المتزوجات، وتحرّج الصحابة من وطأهن، فأباح الله لهم ذلك بعد استبرائهن بحيضة واحدة، كما ورد في تفسير الطبري لهذه الآية الطبري في تفسيره لهذه الآية:" عن ابن عباس في قوله:(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)كل امرأة لها زوج فهي عليك حرام إلا أمة ملكتها ولها زوج بأرض الحرب, فهي لك حلال إذا

[1] . المائدة : 5.

استبرأتها، وبني الفقهاء على هذا الفهم الخاطئ حكمًا فقهيًا خاطئًا، وهو بطلان زواج الحرة بسبيها، ويجوز لمن تقع في أسره وطأها بلا عقد زواج بعد استبرائها بحيضة واحدة، وإن كانت حاملًا بعد وضعها، والأمة المتزوجة بيعها طلاقها"

ودليل خطأ هذا الفهم إسلام قبيلة هوازن، ورد لهم رسول الله صلى عليه وسلم نساؤهم، فكيف تنزل آية تبيح وطء سباياهم المتزوجات، والله بسابق علمه يعلم بإسلامهم؟

أمّا الروايات التي أخرجها مسلم، عن نزول(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)في سبايا هوازن، وإباحة الله وطء المتزوجات منهن بعد استبرائهن، من حيث المتن لا تتفق مع الآية (4) من سورة محمد التي لا تبيح استرقاق الأسرى والسبايا، ومن حيث السند ففيها قتادة المعروف بتدليسه.

هذا يبيّن لنا كم هي أخطأ المفسرون في حق الله تعالى وفي الإسلام بتفسيرهم هذه الآية هذا التفسير الخاطئ، الذي وجّه به دعاة الإلحاد أشد الضربات لإبعاد شباب الإسلام عن دينهم؛ لذا أعود وأكرر إنّ تفسير النص القرآني ليس حكرًا ولا ملكًا للمفسّرين القدامي، فلابد من إعادة تفسير القرآن الكريم لقرآن الكريم، بعيدًا عن التفسير الجنسي والعنصري الذي فسّر به المفسرون القدامى، وعلينا أن نتدبر ونتأمل في سياق الآيات ،ولا نجتزها من سياقها لنعطي لها معني غير معناها.

تأملات في مدلولات بعض الآيات القرآنية

كم نحن في حاجة إلى إعادة تفسير القرآن الكريم يُراعى فيه مدلولات الكلمات والمصطلحات ضمن سياقها في الآيات القبلية والبعدية ليتضح لنا المعنى الحقيقي للآيات، وقد رأينا اجتزاء الآيات من سياقها، والتفسير الجنسي لها، أوقع المفسرين في أخطاء جسيمة، مثل أخطائهم في تفسير ملك اليمين بسبايا الحروب من النساء واسترقاقهن وإباحة اغتصابهن حتى إن كنّ

متزوجات بعد استبرائهن بحيضة واحدة، فأوصلنا إلى أن تلغي أنظمة وقوانين دولية ما أثبته وكرره المفسرون من إباحة الخالق ما حرّمته تلك القوانين، وإقرار العلماء المسلمون تحريمها؛ لذا رأيتُ أن أقف هذه الوقفات التأملية في بعض الآيات الوارد فيها مصطلح(ملك اليمين) لأنّ ثلاث مقالات بأربعمائة كلمة لا تفي الموضوع حقه، خاصة أنّ هذا المصطلح وارد في(15) موضعًا، لكل موضع سياقه ومدلولاته.

عند التأمل في مدلولات(ما ملكت أيمانكم)في قوله تعالى:(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)[المؤمنون:5، 6، والمعارج:29،30]نجدها وردت في السورتيْن في سياق واحد، وهو صفات المؤمنين على مر العصور إلى قيام الساعة، فإن كان ملك اليمين، يعني سبايا الحروب، كما فسّرها المفسِّرون، فهل يعني كل المؤمنين لديهم جوار من سبايا الحروب ،ويكشفون عوراتهم لهن؟

ثم أنّ المؤمنين تشمل الذكور والإناث، فالخطاب هنا جاء بصيغة العموم فإن كان معنى ملك اليمين في هذه الآيات كما فسرها المفسرون، بالعبيد والجواري من أسرى الحروب لا يتفق مع سياقها الذي يتحدث عن صفات المؤمنين، فالتفسير الجنسي (لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم وما ملكت أيمانهم)لا يتفق مع هذا السياق لأنّ هذه الآية لم تستثن الذكور، وتخصهم بتلك الصفات. فهذا يعني ينطبق على الإناث أيضًا؛ لأنّ الآية لم تستثن الإناث عن فعل ذلك.

وهذا يكشف لنا خطأ الفهم، وخطأ التأويل.

ومدلول كلمة(فروجهم) في الآية لا يدل على العلاقة الجنسية بالسوءة، لأنّ هذه الآية وما قبلها ،وما بعدها تصف المؤمنين ذكورًا وإناثًا، وإن كانت تعني العورة وبإباحتها للأزواج وملك اليمين من الجواري من سبايا الحروب، طبقًا لتفسير المفسرين لها، فهذا يعني إباحة ذلك للنساء مع من ما ملكت أيمانهن من الذكور.

فلنبعد عن التفسير الجنسي للآيات الذي حرص المفسرون عليه في تفسيرهم لآيات ملك اليمين، فقد يكون معنى (إلّا ما ملكت أيمانهم) من يقومون على تطبيبهم وخدمتهم ورعايتهم في حال مرضهم، ممّا يتطلب كشف عوراتهم لهم.

فهذا المعنى الذي يستقيم من سياق الآيا ، والذي يشمل المؤمنين (ذكورًا وإناثًا)الموعدين بالجنة.

إنّ كلمة فرج في اللغة لها عدة معان غير السوءة، منها شقوق وفتوق، كما في قوله تعالى: (وما لها من فروج) [1] وقوله(وإذا السماء فرجت) [2]،أي: انشقت، والفرَج: انكشاف الغم. يقال: فرّج الله عنك، وقوس فرج: انفرجت سيتاها، ورجل فرج: لا يكتم سره، فمدلول كلمة (فروجهم) في الآية لا يدل على العلاقة الجنسية بالسوءة، لأنّ هذه الآية وما قبلها ،وما بعدها تصف المؤمنين ذكورًا وإناثًا، وإن كانت تعني العورة وبإباحتها للأزواج وملك اليمين من الجواري من سبايا الحروب، طبقًا لتفسير المفسرين لها، فهذا يعني إباحة ذلك للنساء مع من ما ملكت أيمانهن من الذكور.

فلنبعد عن التفسير الجنسي للآيات الذي حرص المفسرون عليه في تفسيرهم لآيات ملك اليمين، فقد يكون معنى(فروجهم)غير معنى السوءات، وقد يكون معنى(أزواجهم)لا يعني الأزواج بعقد شرعي، وبالتالي يتضح لنا معنى(ملك اليمين)، مع مراعاة أنّ هذه الآيات تصف المؤمنين ذكورًا وإناثًا على حد سواء، ولا يوجد فيها استثناءات,

أواصل تأملاتي في مدلولات بعض آيات ملك اليمين.

[1] . ق / 6.

[2] . المرسلات : 9.

1. **فلنتأمل** مدلول (وما ملكت أيمناكم) في قوله تعالى والخطاب هنا بصيغة العموم أي يشمل الذكور والإناث معًا:(وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) [1]عني الإحسان إلى أزواجكم الذين تحت وصيتكم ورعايتكم وإشرافكم، فسياق الآيات السابقة لهذه الآية تتحدث عن القوامة في الزوجية والنشوز، والإصلاح بين الزوجيْن.

2. جعل ملك اليمين شركاء في الأموال في قوله تعالى:(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[2] أي ما ملكتم من حق رعايتهم والإشراف والإنفاق عليهم من أزواج وبنين وحفدة شركاء معكم فيما رزقناكم من مال، فأنتم وهُمْ فيه سواء، فكيف تخافون مقاسمتهم ممّا رزقناكم، ويؤكد هذا المعنى هذه الآية:(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)[3] ، وسياق الآية فسياق الآيات السابقة للآية(28)من الروم تتحدث عن أنّ الزوجية سكن ومودة ورحمة، وفي سورة النحل الآية تتحدّث عن التفضيل في الرزق، بين الزوجين، فالزوج بطبيعة وظيفته الفطرية هو المكلّف بالإنفاق على زوجه وأولاده، فهو متفرّغ في المقام الأول لعمله، وما يدخل عليه من مال يرده إلى زوجه وأولاده بإنفاقه عليهم، فهنا مدلول(ما ملكت أيْمانُكم)من هم تحت إشرافكم ومسؤوليتكم ورعايتكم من زوجة وبنين وحفدة، وهذا ما تبينه الآية التي

---

[1] .النساء: 36.

[2] . الروم : 28.

[3] . النحل: 71.

بعدها(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)

3. أمّا (مّا ملكت أيمانُكُم) في قوله تعالى:(وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [1]

سياق هذه الآية وما قبلها يتحدث عن تزويج (وأنكِحوا) (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا) فمدلول (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) يتعلق بالتزويج أي بناتكم، أو من هن تحت رعايتكم وإشرافكم إن أردن الزواج (الكتاب) فزوجوهم (كاتبوهم) ولا تكرهونهن على البغاء إن أردن تحصنًا بالزواج، بمعنى إن عضلتموهن ورفضتم تزويجهن، لتستفيدوا من خدمتهن لكم، فستكرهوهن على ممارسة البغاء لإشباع رغباتهن.

4. أمّا في الآية(58)من سورة الأحزاب(يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرّاتٍ مّن قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مّنَ الظّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَآءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ)فمدلول(ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم(أزواجكم، والذين لم يبلغوا الحُلم من أولادكم ومن يقومون بخدمتكم)ثلاث فترات وهي وقت استراحة الانسان وتحلله من ملابسه لغرض النوم وهي من قبل صلاة الفجر(الليل)وحين تضعون ثيابكم اي تخلعونها لأجل الراحة والنوم فترة الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، ولا ننسى أنّ الخطاب هنا بصيغة العموم يشمل المؤمنين من الذكور والإناث معًا. ونلاحظ هنا قوله تعالى(الذين) ولم

[1] .النور : 33.

يقل(الائي، أو اللاتي)، فالذين تشمل الذكور والإناث ممن هم تحت رعايتكم وإشرافكم، وممن يتولون خدمتكم.

5. أمّالا دلالة(وما ملكت أيمانكم) في الآية(36 من سورة النساء الذين يقعون تحت وصيتكم ورعايتكم وإشرافكم، كما نجد مدلول(وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ)في الآية(55)من سورة الأحزاب لا يختلف عن مدلول(أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانهنَّ) في(31) من سورة النور، فالأولى تتحدث عن ما يُباح لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن إبداء زينتهن لهم، ومعروف أنّ بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلو من المماليك ذكورًا وإناثًا، فلن يكون معنى(ولا ما ملكت أيمانهن)المماليك، كما فسرّها المفسرن، وكذلك(أو ما ملكت أيمانهن)في الآية(31)من سورة النور التي تشمل النساء المسلمات، فلن يكون المماليك، لأنّ ليس بيوت كل المسلمين بها مماليك، كما أنّ القرآن للناس كافة عبر العصور والأزمان إلى أن تقوم الساعة، والله يعلم في سابق علمه أنّ الرق سيُلغى، لأنّه عارض بشري، وحرص على تجفيف منابعه بتحريم استرقاق الأسرى والسبايا فمدلولها في الآيتيْن الذين يقعون تحت وصيتهن ورعايتهن واشرافهن ممن ليس لديهم شهوة وغريزة وميل للنساء مثل اليتامى من الأطفال دون سن الاحتلام، ولكن للأسف نجد بعض المفسرين لم يميزوا هذا، فنجد الإمام الطبري اعتبر دلالتهما المماليك، فقال:" قال:- يقصد ابن زيد- وكان أزواج النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يحتجبن من المماليك. وقوله(وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الرجال والنساء، وقال آخرون: من النساء". مع أنّه يعلم بخلو بيته صلى الله عليه وسلم من المماليك.

6. وفي الآية 50 من سورة الأحزاب (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ

وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)

إنّ لكلمة أحلّ عدة معاني منها: **أحلَّ** الشَّيءَ محلّ العناية: أولاه وقتَه واهتمامَه وعنايتَه فكلمة (أحللنا) في هذه الآية لا تعني إباحة للنبي صلى الله عليه وسلّم المذكورات في الآية الزواج بهن، فزوجاته هنّ تلقائيًا حلال عليه، وقد جاء في الآية ذكر (وبنات عمك وبنات عماتك) وبنات عمّات والرسول صلى الله عليه وسلم متزوجات وله أعمام كثيرون بناتهم متزوجات لكنه قال(وبنات عمك ذكروا من أعمامه العباس وحمزة، وهما أخويه من الرضاعة، فبناتهما لا تحلان له، وعمّه أبو طالب عنده أم هانئ لم تكن مهاجرة، والآية حدّدت(اللاتي هاجرن معك)أما(وما ملكت يمينك)فهي تعني هنا بناتك، لأنّ عندما تكون(ملك اليمين)تعني الزوجة الكتابية يسبقها (أو) ولكن في هذه الآية) لم يقل (أو)، وإنّما قال(و) فيكون بذلك معنى الآية عليك يا أيها النبي تولي اهتمامك وعنايتك بزوجاتك وبناتك اللاتي كنّ ممن أنعم الله عليك بهنّ، وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ..)

(لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ)

(إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ)هنا تعني زوجاتك الاتي ملكت وطئهن بعقد شرعي فأنهن مستثنات من التحريم ..

خلاصة القول: إنّ ملك اليمين لا علاقة لها بأسيرات الحروب، وإنّما تعني طبقًا لسياق الآيات ومدلولاتها، الزوجان، أو الزوجة الكتابية أطلق عليها ملك اليمين، ولم يطلق عليها زوجة لعدم

التماثل في العقيدة ـ لأنّ من معاني الزوج: القرين والنظير والمثيل ـ أو البنات والأولاد والأطفال واليتامى، ممن هم تحت رعاية وإشراف ومسؤولية من تعهد برعايتهم.

الفصل الخامس

المحور العين والعمليات الاستعمارية

تمهيد

استغلت الجماعات المسلحة التي نسبت نفسها إلى الإسلام المفهوم الخاطئ للحور العين الذي وقع فيه الخطاب الديني، بأنّهنّ نساء يفوق جمالهن الوصف وعد الله بتزويجهن لأصحاب الجنة من الرجال،في التغرير بالشباب، ودفعهم لقتال من كفروهم من المسلمين، وقيامهم بعمليات انتحارية، فهم يُقاتلون ليس في سبيل الله، ولكن من أجل إشباع شهواتهم في الدنيا والآخرة. في الدنيا باغتصاب من يقع في أيديهم من نساء وفي الآخرة الفوز بحور العين، والمحلل لرؤية الإرهابيين للحور العين يجد أنّها رؤية حسية شهوانية محضة، فهم أشخاص يجرون وراء شهواتهم ظنًا منهم أنّ ما يفعلونه من مشاهد مرعبة ومتوحشة من قتل وحرق وسلب ونهب واغتصاب، وحرق أسراهم أحياء، وتمثيل بجثث القتلى بقطع الرؤوس وتقاذفها بالأرجل، ومضغ القلوب والأكباد، سوف يُدخلهم الجنة، ويفوزون بالحور العين، مع أنّ هذه الأفعال ستقذف بهم في الدرك الأسفل من جهنّم.

ولكي نفهم معنى الحور العين في القرآن علينا أن نعرف المعنى اللغوي لهذا المصطلح، وماهية الحور العين، وهل بيّن القرآن الكريم هذه الماهية؟ وما معنى آية(وزوّجناهم بحور عين)؟

هل المقصود بالزواج هنا كزواج الدنيا؟

هل توجد معاشرة جنسية للزوج في الجنة مع زوجته؟

ما معنى قوله تعالى : (إنّ أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)؟

وما مدى صحة الأحاديث التي تتحدث عن ماهية الحور العين، وأنّ لكل من أهل الجنة (72) زوجة، وعن ممارسة الجماع في الجنة

هذه الأسئلة وغيرها سوف أجيب عنها في الصفحات التالية.

المعنى اللغوي للحور العين

معنى(حور عين) في اللغة العربية: شدة البياض في بَياض العين مع شدة السواد في سوادها، مع اتساعها، فاللفظ يدور حول العيون الجميلة، وهي ليست حصرًا على النساء، وبهذا تكون كلمة "حور" جمع لعيون الذكور والإناث معا، ويجوز لك أن تقول واصفًا: هذه امرأة حوراء، وهنّ نسوة حور، وهو ورجل أحور، وهم قوم حور، وبالتالي يكون لفظ "حور" في القرآن الكريم يدور حول العيون – وهى مؤنث– وليس حول النساء كجنس خلافاً لما ذكره المفسرون، لذا قال عن أهل الجنة(هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ) [1] هم ذكور وإناث، وأزواجهم ذكور وإناث.

ماهية الحور العين

أمّا عن ماهية أصحاب الحور العين، فهذا من المسائل الغيبية التي ذكرها الخالق في كتابه العزيز، ولم يُبيِّن ماهيتهم، فأصبحت معرفتها مسألة اجتهادية محضة تتحمّل الخلاف، وتتحمّل أكثر من رأي، والخلاف حولها لا يُخرج الإنسان من الدين، ولا يُتهم بالفسوق، أو الجهل.

وما ورد في بعض الأحاديث عن ماهية الحور العين يتعارض بعضها بعضًا ، فحديث يقول خلقت الحور العين من زعفران، وحديث آخر يقول خلقت من تسبيح الملائكة، والتسبيح كما هو معروف كلمات والزعفران شيء محسوس. وأضاف زيد بن أسلم – أحد التابعين وتوفى عام 136هـ– قولاً ثالثًا هو: إنّ الحور العين خلقت من "خليط " من مسك و كافور وزعفران!! والجدير بالذكر أنّ هذه الأحاديث لم يذكر منها حديث واحد في صحيح البخاري، أو صحيح مسلم أو غيرها من كتب الحديث الخمسة التي عليها التعويل ، ولذلك كل هذه الأحاديث موضع نظر ولا يمكن أن يستدل بها على ماهية الحور العيّن.

[1] . ياسين: 56.

من جهة أخرى لم يتفق المفسرون على ماهية أو أصل الحور العين. فمن المفسرين من قال هن نساء الدنيا في نشأة أخرى ، ومنهم من قال هم خلق آخر خلقه الله من الزعفران كما ورد في بعض الأحاديث.

مهور الحور العين

لم يتطرّق القرآن الكريم إلى مهور الحور العين لأنّه لم يُحدد ماهيتهم، فقد يكون منهم الذكور ، ومنهم الإناث، كما لم يُبيّن أنّ الزواج بالحور العين كالزواج الدنيوي، وفيه دفع مهور، ولكن نجد أحاديث موضوعة نُسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أعتبرت الحور العين نساءً، ويُدفع لهنّ مهرًا، وتحدثت عن هذا المهر، واختلفت فيه ،فمنها من جعل إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين، جاء في هذا الحديث:

"أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا محمد بن عمر بن إسحاق، عن حبش، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا أيوب بن علي يعني الصباحي حدثنا زياد بن سيار مولى لي عن عزة بنت أبي قرصافة، عن أبيها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين "

ومنهم من جعله قبضات التمر ، وفلق الخبز، كما في هذا الحديث:

" أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الطبري الحاجّي، حدثنا أبو علي الحسن ابن اسماعيل بن خلف الخياط، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الفرج، حدثنا محمد بن عبيد بن عبد الملك، حدثنا محمد بن يعلي أبو علي الكوفي، حدثنا عمر بن صبيح، عن مقاتل بن حيان، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز".

هذا وقد استغلت الجماعات المسلحة التي نسبت نفسها إلى الإسلام المفهوم الخاطئ للحور العين الذي وقع فيه الخطاب الديني، بأنّهنّ نساء يفوق جمالهن الوصف وعد الله بتزويجهن

لأصحاب الجنة من الرجال،في التغرير بالشباب، ودفعهم لقتال من كفروهم من المسلمين، وقيامهم بعمليات انتحارية، فهم يُقاتلون ليس في سبيل الله، ولكن من أجل إشباع شهواتهم في الدنيا والآخرة. في الدنيا باغتصاب من يقع في أيديهم من نساء وفي الآخرة الفوز بحور العين، والمحلل لرؤية الإرهابيين للحور العين يجد أنّها رؤية حسية شهوانية محضة، فهم أشخاص يجرون وراء شهواتهم ظنًا منهم أنّ ما يفعلونه من مشاهد مرعبة ومتوحشة من قتل وحرق وسلب ونهب واغتصاب، وحرق أسراهم أحياء، وتمثيل بجثث القتلى بقطع الرؤوس وتقاذفها بالأرجل، ومضغ القلوب والأكباد، سوف يُدخلهم الجنة، ويفوزون بالحور العين، مع أنّ هذه الأفعال ستقذف بهم في الدرك الأسفل من جهنّم.

ولكي نفهم معنى الحور العين في القرآن علينا أن نعرف المعنى اللغوي لهذا المصطلح، وماهية الحور العين، وهل بيّن القرآن الكريم هذه الماهية؟ وما معنى آية(وزوّجناهم بحور عين؟

هل المقصود بالزواج هنا كزواج الدنيا؟

هل توجد معاشرة جنسية للزوج في الجنة مع زوجته؟

ما معنى قوله تعالى : (إنّ أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)؟

وما مدى صحة الأحاديث التي تتحدث عن ماهية الحور العين، وأنّ لكل من أهل الجنة (72) زوجة، وعن ممارسة الجماع في الجنة

هذه الأسئلة وغيرها سوف أجيب عنها في هذا الفصل.[1]

[1] . تمّت كتابة هذا الفصل في الرياض في 1436/4/29ه، الموافق 2015/2/19م.

صفات الحور العين

وصف الله جل شأنه الحور العين في سورة الواقعة كاللؤلؤ المكنون(وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [الواقعة: 23-24]، بينما جاء وصف لهن في حديث ضعيف "كأنّهن بيضٌ مكنون"

قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل:(وَحُورٌ عِينٌ) قال:" العين: الضخام العيون، شفر[رموش أو أهداب]الحوراء بمنزلة جناح النسر" قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل:(كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) [1] قال:" رقتهن كرقة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر، وهي الغرقىء."

مع أنّ هذا الوصف الوارد في القرآن الكريم لقاصرات الطرف، أي للنساء اللاتي قد قُصِرَ طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال، وليس للحور العين لأنّ الحور العين لم يُبيِّن القرآن ماهيتهم.

وهذا الحديث ضعيف سندًا ومتنًا، فمن حيث المتن:

في هذا الوصف مخالفتان للوصف القرآني:

أولهما : حدد ماهية الحور العين بأنّهن إناث، بيّن القرآن لم يُحدّد هذه الماهية بقوله (كأمثال)

ثانيهما: شبّه الحور العين بالبيض، بينما النص القرآني شبّه الحور العين باللؤلؤ.

[1] . الصّفات : 49.

والوصف القرآني هو الوصف الصحيح لأنّه هو خالق هؤلاء الحور ، وهو أعلم بصفاتهم، ومخالفة وصف الحديث للوصف القرآني دليل على عدم صحته، لأنّ السنة الصحيحة لا تناقض القرآن الكريم.

أمّا صعفه من حيث الإسناد ، ففيه:

1. " أحمد بن عبد الرحمن بن وهب"، وهو مختلف عليه، قال ابن أبي حاتم سألت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عنه، فقال : " ثقة" ، وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: " أدركناه، ولم نكتب عنه"، وقال ابن عدي: " رأيتُ شيوخ مصر مجمعين على ضعفه"، ومن ضعّفه أنكر عليه أحاديث ، وكثرة روايته عن عمه ، وكل ما أنكروه عليه محتمل، وإن لم يروه غيره عن عمه، ولعله خصّه به، وقال أبو سعيد بن يونس:" توفي في شهر ربيع الآخر سنة(264هـ)، ولا تقوم بحديثه حجة." وقال ابن الأخرم:" نحن لا نشك في اختلاطه بعد الخمسين." وقيل للبوشنجي: إنّ أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدّث به عن ابن وهب ، قال : فهذا كذّاب إذًا."[العسقلاني: تهذيب التهذيب، ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن وهب رقم (75] .
2. فيه محمد بن الفرج، قال الحاكم عن الدارقطني: ضعيف لا بأس به يطعن عليه في اعتقاده، وقال البرقاني عن الدارقطني: ضعيف"، وقال ابن حزم مجهول." [1]

الحور العين في القرآن الكريم

ورد ذكر الحور العين في ثلاث آيات هي:

1.(كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) [2]

2. (مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ)[1]

---

[1] .المرجع السابق، ترجمة محمد بن الفرج رقم(6510.

[2] . الدخان : 54.

3. (وحور عين) [2]

عندما نقرأ هذه الآيات، وما قبلها وما بعدها، نجد أنّه لم يُبيّن أنّ الحور العين إناثًا، أو ذكورًا، فالحور العين صفة للاثنيْن معًا، كما لم يُبّن أنّه اختص الرجال بهم، فهم من نعيم الجنة جزاء للمتقين ذكورًا وإناثًا، فالجنة ليست للرجال فقط، فعلى أي أساس اختص الرجال لأنفسهم الحور العين، وكأنّهم هم المتقون فقط؟

4.إنّ نظرة الرجل الاستعلائية جعلته يعتبر أنّ الخطاب القرآني بصيغة المذكر يخص الذكور فقط في الأمور التي يريد أن يخص نفسه بها، مع أنّه يعلم أنّ صيغة الخطاب في القرآن واللغة العربية نوعان: خطاب للذكور والإناث معًا، وخطاب للإناث وحدهن. والخطاب المشترك هو الغالب في القرآن، كما في الآيات التالية:

1. في سورة الدخان:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ. في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. يَلْبَسُونَ مِن سُنذُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ. كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) [3]
2. في سورة الطور(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) [4]
3. في سورة الواقعة (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ .فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ .وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ. عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ، مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا

---

[1] . الطور : 20.

[2] . الواقعة : 22.

[3] . الدخان: 51-54.

[4] . الطور: 17-20.

يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1]

تصحيح معنى (وزوجناهم بحورٍ عين)

بقي سؤال: ما معنى (وزوّجناهم بحور عين)هل المقصود بالزواج كما هو في الدنيا؟

لقد بيّن القرآن الكريم أنّ الحور العين من نعيم الجنة التي ينعم به المتقون من عباده ذكورًا وإناثًا على حد سواء، ولم يخص الرجال بذلك، قال الإمام بن عجيبة في تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : " (وزوجناهم بحُور عِينٍ) أي: قرنّاهم وأصحبناهم، ولذلك عُدي بالباء والحور: جمع حَوْراء، وهي الشديدة سواد العين، والشديدة بياضها، والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العَين، واختلف في أنها نساء الدنيا أو غيرها. "

وقال الإمام البيضاوي في أنوار التنزيل أسرار التأويل: (وَزَوَّجْنَاٰهُم بِحُورٍ عِينٍ) قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء.

وأوضح فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي هذا المعنى بتفصيل أكثر بقوله: "الفعل زوَّج يتعدَّى بنفسه ويتعدَّى بالباء، نقول: زوَّجته فلانة يعني: جعلتُها زوجة له، وهو الزواج الشرعي المعروف بين الذكر والأنثى. أما زوجته بكذا يعني: أضفتُ إليه فرداً مثله يُكوِّن معه زوجاً، وليس من الضروري أن يكون أنثى، فقوله تعالى: (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ)[2] تعدَّت بالباء. فالمعنى انتقل من مسألة الزوجية التي نعرفها إلى الأُنْس بالجمال الذي هو قمة ما نعرف من اللذات، وليس بالضروري العملية إياها؛ لأّننا في الآخرة سنُخلق خَلقًا جديدًا غير هذا الخَلْق الذي نعيشه، بدليل أنّك تأكل في الجنة ولا تتغوَّط. وعليه فالمعنى المزاوجة بين اثنين، بصرف

[1] . الواقعة : 10-24.

[2] . الدخان: 54.

النظر عن الذكر والأنثى؛ لأنّ المتعة هناك متعة النظر، ومتعة الكلام، ومتعة الأُنْس بقيم أخرى غير التي نعرفها الآن. ولما كان زواجُ الرجل بالمرأة من أعظم مُتَع الدنيا، ويحرص عليه كلٌّ من الرجل والمرأة حينما يبلغان الرشد جعله الله من مُتع الآخرة، لكن على صورة أخرى أنقى، بصرف النظر عن العملية الجنسية إياها، فالمسألة إيناسٌ بما كنتم تعتبرونه نعمةً في الدنيا، أما في الآخرة فمقاييس أخرى، نقى لكم الأشياء من مُنغِّصاتها التي كانت في الدنيا. أرأيتم مثلاً في الدنيا من خمر وعسل ولبن، لكم منها في الآخرة، بعدَ أنْ نُصفِّيها لكم مما يُنغِّصها، فجعل خمر الآخرة لذةً للشاربين، وخمر الدنيا لا لذةَ فيه، وجعل اللبن لا يتغيَّر طعمه، وجعل الماء غير آسن. كذلك جعل الزواج نقياً من شوائبه في الدنيا ومُنغِّصاته، حتى أزواج الدنيا حينما يجمعهم الله في مُستقر رحمته في الجنة.. قال(وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ..) إذن: قوله سبحانه: (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) هذه الباء نفهم منها أنها زواجٌ غير الذي نعرفه في الدنيا بين الرجل والمرأة، وأنّه بعيد عن المسألة إيّاها، لأنّ الحياة الأخرى لها نعيمٌ آخر ومقاييس أخرى غير ما نعرفه في الدنيا. وكلمة (حور عين) تلفت الأذهان إلى متعة النظر والتلذذ به، كما ينظر الإنسان إلى صديق يحبه، فإذا اقتنع واكتفى بهذه النعمة فأهلاً وسهلاً، وإذا لم يقنعه النظر، ففي الجنة ما تشتهيه الأنفسُ ويلذّ الأعين."

وهذا المعنى هو الذي يتفق مع حال أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، فكانا زوجيْن في الجنة، ولكنهما لم يتناسلا إلّا عندما خرجا منها، ففي الجنة كما قال تعالى لآدم عليه السلام (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى.)[1] وعندما وَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ظهرت سوآتهما أي كانتا مخفية غير ظاهرة تمهيدًا لخروجهما من الجنة (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ [2]وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)

[1] . طه : 118- 119.

[2] . طه : 121.

قد يقول قائل ولكن بعض المفسرين مثل الطبري وابن كثير يُفسِّرون(إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) [1] قالوا شغلهم افتضاض الأبكار، ويُنسبون هذا القول عبد بن مسعود وابن عبّاس رضي الله عنهما، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ما من أحد يدخله الله الجنة، إلا زوجه الله عز وجل ثنتين وسبعين زوجة، اثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة، إلا ولها قبل شهي ، وله ذكر لا ينثني"،وما رواه الترمذي:" يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْجِمَاعِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ يُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ"

أمّا الشهداء فلهم 72 زوجة من الحور العين طبقًا لما رواه الترمذي وابن ماجه في سننيهما عن المقدام بن معد يكرب، وهو:

(حديث مرفوع) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قُرِئَ عَلَى هِلالِ بْنِ الْعَلاءِ، وَأَنَا أَسْمَعُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ بحَيرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنِ الْمِقْدَامِ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ حُورِ الْعِينِ.." [2]

وفي رواية أخرى ،قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "للشهيد عند الله ثلاث خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه".

نلاحظ الاختلاف في تحديد خصال الشهيد بين الروايتيْن الأخيرتيْن.

---

[1] . ياسين : 55.

[2] . رواه الترمذي(163]،وابن ماجة[2799.

وهذا الاضطراب في الروايات والاختلاف فيها دليل على ضعفها، وفيها : أحمد بن سليمان المروزي: هو أحمد بن أبي الطيب سليمان البغدادي، قال في التقريب:" صدوق حافظ، له أغلاط، ضعّفه بسببها أبو حاتم، وما له في البخاري سوى حديث واحد متابعة"[رقم51]

وفيا إسماعيل بن عياش، قال في التقريب " صدوق في روايته عن أهل بلده مُخلِّط في غيرهم"

فهذه أقاويل لا أصل لها، فليس من المعقول أن يقتصر نعيم أهل الجنة على شغل الرجال في فض الأبكار، ولو سلّمنا فرضًا بصحة هذه الأقاويل، فما هو النعيم المقابل للنساء في الجنة؟

لم نجد أحاديث تتحدّث عن هذا الجانب، وهذا دليل واضح على وضع تلك الأحاديث، فقد وضعها الوضّاعون من رجال مرضى بالهوس الجنسي، وحديث اثنتين وزوجة ضعّفه الألباني، وصنفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة،

أمّا نسبة القول الشغل بافتتاض الأبكار، لابن عباس وبن مسعود رضي الله عنهما، فهذه روايات موضوعة، فلا يتفق مع قوله تعالى:(وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة)[1] [القيامة:23-24] الذي يُبيّن أنّ نعيم أهل الجنة، هو النظر إلى الله عزّ وجلّ، وهذا ما أوضحه الشيخ متولي الشعرواي في تفسيره(إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) أنت ترى أنّ الذي يدخل الجنة يجلس لا عمل له، أليس كذلك .. آه .. لماذا ؟ لأنّ رزقك في الدنيا مرتبط بالحركة .. لكن رزقك في الجنة مرتبط بالمسبب لو قرأت قول الله تعالي(إنّ اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) آه .. اذن عندهم شغل .. ولكن من نوع أعلى .. أنت تركت في الآخرة دنيا الأسباب وأصبحت مع المسبب .. شغلك أصبح مع المُسّبِب .. مثلا .. وهذا للتقريب ولله المثل الأعلى .. هب أنّك كنت تحب أن تجلس مع شخص وظللت تكافح إلى أن تمكنت من أن تجلس معه .. هل عندما تجلس مع من تحب تكون في فراغ .. ؟ اه .. شغل اخر .. شغل فاكهون .. الزمن غير موجود .. مثال يوضح هذا ولله المثل الأعلى .. عندما تنتظر من تحب

[1]

وتمر عليك دقيقة واحدة، قد تنظر في ساعتك أكثر من عشر مرات... لكنك عندما تلتقي به .. الذي اخذته تطلع في الزمن تأخذه نقصًا من الزمن معه .. الزمن ربط للأحداث بأزمانها، الزمن هنا جري عندما جلست معه .. شغل الإنسان بالزمن هو الذي يجعلك تشعر به .. وهنا تجد النفس الواعية لو زهدت في الزمن لا يكون له قيمة .. وخير مثال إذا نمت وصحوت هل تعرف كم مضي من الزمن .. لن تستطيع .. اصحاب الكهف .. كم لبثوا .. ؟ هم قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم أليس كذلك .. لكن القرآن حدثنا كم سنة لبثوا .. إذن في الجنة شغل بالله بمن تحبه .. وشغل كما قلت .. شغل فاكهون .."

وهكذا نجد أنّ أسطورة الحور العين التي ضخّمتها الجماعات الإرهابية المسلحّة المريضة بالهوس الجنسي، فيمارسونه في الحياة الدنيا، مع من يقع تحت أيديهم من نساء وفتيات، ويحلمون بممارسته في الحياة الآخرة بنهم، واستمرارية، ويوهمون الشباب المغرر بهم أنّ ما يفعلونه من قتل وتخريب وسفك دماء وقطع رؤوس ،وحرق الأحياء سيدخلهم الجنة، وسيتزوجون بالحور العين، ليست بالصورة التي صوّروها، فلا علاقات جنسية بين الأزواج في الجنة، والحور العين لم يُحدِّد القرآن الكريم ماهيتهم، فقد يكون ذكورًا وإناثًا، لأنّهم من نعيم المتقين رجالًا ونساءً على حد سواء، وليس الحور العين قصرًا على الرجال فقط.

الفصل السّادس

قتل المرتدّ في فكر دولة الخلافة المزعومة

مصطلح " حرب المرتدين"

ورد مصطلح الردة في كتب التاريخ الإسلامي على محاربة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه للذين امتنعوا عن دفع الزكاة التي كانوا يدفعونها في العهد النبوي، فهذا الامتناع بمثابة إعلان العصيان المدني على الدولة؛ فكان لابد من قتالهم لئلا يمتد هذا العصيان إلى مناطق أخرى خاصة وأنّه صاحبها إثارة فتنة ادعاء النبوة، فمحاربته لهم لم تكن لارتدادهم عن الإسلام، ولكن منعًا للفتنة والانفصال عن الدولة الإسلامية لامتناعهم عن دفع الزكاة بدليل قوله للفاروق رضي الله عنه الذي كان لا يرى محاربتهم:"والله لو منعوني عقالًا كان يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم على منعه"

وقد بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه أحد عشر جيشًا لقتال من ترك الإسلام" [ومن أخطاء المؤرخين تسميتهم لها بحروب المرتدين، وكان الأجدر تسميتها "حروب المتمردين"، لأنّه لا يوجد نص في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ما يوجب قتل المرتد عن الإسلام، وإن قال بعض العلماء بوجوب قتله بعد الاستتابة أو بدونها لا يُعتد به لمخالفته للقرآن الكريم، وهو المصدر الأول للتشريع؛ إذ لم ترد فيه عقوبة دنيوية، بل توجد آيات تؤكد على عدم قتل المرتد، منها: قوله تعالى:﴿إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ ازْدَادُواْ كُفْراً لّمْ يَكُنْ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾[1]هذه الآية تبين أنّه مهما كفر الإنسان لا عقاب دنيوي عليه، وإلا لكان مناسبًا في هذه الآية ذكر حكم الردة أكثر من غيرها، لأنّ هناك رده متكررة، فإن كان حكم الردة القتل، لقُتل من أول ردة، ولكن تكرّرت الردة، فهذا يعني لا عُقوبة قتْل للمرتد، بل لا توجد عقوبة دنيوية على الإطلاق، وإن كانت هناك عقوبة دنيوية غير القتل يفترض أن يزيد فيها العقاب، ويكون أشد من الردة لمرة واحده إلّا أنّ النص عاقبهم بعدم مغفرة الله وعدم هدايته لهم، وقد دلت الآية على أنّ الإنسان قد يؤمن ثم يكفر ثم يؤمن وهكذا، ولو كان هناك حد ردة لما

[1] . النساء: 137.

حصل الكفر ثم الإيمان أكثر من مرة لأنّه سيعدم الكافر من أوّل ردة له: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوَاْ إِلاّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لّهُمْ وَإِن يَتَوَلّوْا يُعَذّبْهُمُ اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [1]وهذه الآية تبين أيضًا أنّ جزاء المرتد يكون من عند الله في الدنيا والآخرة وليس بيد بشر عقاب المرتد. وعذاب الله في الدنيا للمرتد يبين أنّه لا وجود لحكم ردة، وإلا لو تم إعدام كل مرتد بعد ثلاثة أيام كيف سيعذبه الله في الدنيا كما ذكرت الآية.

﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّىَ يَرُدّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].هذه الآية تبين بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الذي يرتد عن الإسلام عقابه في الآخرة وليس عقابه حكم الردة في الدنيا وخصوصًا أنّ الآية اشترطت للعقاب الأخروي أن يموت وهو كافر، والحكمة من ذلك أنّ الله ترك باب التوبة مفتوح مدى الحياة، فقد تتغير قناعه الإنسان في أي وقت، بينما واضعو الأحاديث حددوا مدة التوبة بأيام معدودة مناقضين ما ورد في الآية السابقة.

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقلون)[3]

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) [4]

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[1]

---

[1] . التوبة: 74.

[2] . البقرة: 217.

[3] . يونس: 99-100.

[4] . يونس: 108.

(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا)[2]

(فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنّما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل)[3]

(وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْآن فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنفسهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ)[4]

(وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)[5](لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[6]

فعلى أي أساس بنى الفقهاء حكمهم بقتل المرتد، ولم ترد آية قرآنية تنص على ذلك؟ وكيف يترك معدو المناهج حكم الخالق ويأخذون بحكم المخلوق؟

كما بيّنتُ سابقًا أنّ سيدنا أبا بكر رضي الله عنه لم يحارب الممتنعين عن دفع الزكاة لارتدادهم عن الدين، وإنّما لامتناعهم عن دفع الزكاة، فقد وُصفت هذه الحركات من الناحية السياسيَّة بأنَّها عصيانًا مدنيًا وحركاتٌ انفصاليَّة عن الدولة الإسلامية في المدينة المُنوَّرة التي أسَّسها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي عودةٌ حقيقيَّةٌ إلى النظام القبلي الذي كان سائدًا في الجاهليَّة، وبلا شك هذه الحقائق التاريخية لم تغب عن معدي مناهج الدراسات الاجتماعية والمواطنة، ولكنهم للأسف استخدموا مصطلح" الردة" وقرروا أنّ محاربة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لارتدادهم عن الإسلام، وليس لعصيانهم للدولة وإثارة الفتنة، فالصديق رضي الله عنه لا يمكن يفعل ذلك، وهو يعلم تمام العلم أنّه لا توجد آية في القرآن الكريم تنص على قتل المرتد،

---

[1] . البقرة: 256.

[2] . الكهف: 29.

[3] . الزمر: 41.

[4] . النمل:92.

[5] . القصص: 55.

[6] . الكافرون: 6.

كقوله تعالى:(إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ ازْدَادُواْ كُفْراً لّمْ يَكُنْ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾[1] وكذلك الآيات السابق ذكرها في الحلقة الماضية.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير آية(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[2]"كأنهم يقولون: لا فائدة في وعظ من اقتحم محارم الله، ولم يصغ للنصح، بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنّه لا بد أن يعاقبهم الله، إما بهلاك أو عذاب شديد.فقال الواعظون: نعظهم وننهاهم(مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) أي: لنعذر فيهم.(وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجع فيهم الوعظ، وأثر فيهم اللوم.وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر: ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي " انتهى. "تفسير السعدي"

فالآية لم تنص على معاقبة المرتدين بالقتل، وإنّما تنص على معاقبة الله لهم بهلاك أو عذاب شديد، وفضيلة الشيخ السعدي أوضح هذا في تفسيره للآية ولم يُخالف كلام الله بالقول بقتلهم، كما جاء في بعض المرويات المنسوبة إلى رسول صلى الله عليه وسلم التي تقول بقتل المرتد، وأقول منسوبة لمخالفتها للقرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالف القرآن الكريم، فتلك المرويات لا تتفق مع الآيات الكريمات السابق ذكرها التي لا تنص على قتل المرتد أو عقوبته بأية عقوبة دنيوية، فلا يؤخذ بها، لأنّ السُنّة الصحيحة لا تناقض القرآن الكريم، ومن قواعد صحة المتون المتفق عليها من قبل علماء الحديث، أن يكون متن الحديث موافقًا للقرآن الكريم، وتلك الأحاديث مخالفة له، فكيف نأخذ بها لمجرد ورود بعضها في الصحيحين رغم مخالفتها الصريحة للقرآن الكريم؟ ولكن للأسف ترك أولئك القائلين بقتل المرتد كلام الله وأخذوا ببعض الروايات المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم المخالفة للقرآن كرواية البخاري" من بدّل دينه فاقتلوه" لورودها في الصحيحين، فاجتهادات أولئك الفقهاء بقتل المرتد لا داعي لها،

[1] . النساء: 137.

[2] . الأعراف: 164.

لأنّ لا اجتهاد بوجود النص، وتوجد لدينا نصوص قرآنية كثيرة حسمت القضية، ولم تنص على تطبيق حد، أو أية عقوبة دنيوية على المرتد، فالإسلام أقر بحرية العقيدة، وعدم الإكراه في الدين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهذا المرتد قد يعود إلى الإسلام في أية لحظة، إن توفرّت لديه القناعة بالدين، وكثر الذين ارتدوا، وألحدوا، وعادوا إلى الإسلام، خاصة أيامنا هذه التي تنامت فيها ظاهرة الإلحاد في عالمنا العربي والإسلامي بالتزامن مع ما أسميت بثورات الربيع العربي، ويرجع هذا إلى عدة أسباب في مقدمتها مخطط صهيوأمريكي غربي لدفع الشباب العربي المسلم إلى الإلحاد لجعلهم بلا ولاء ولا انتماء، ولا هوية، وليكون ولاءهم لإسرائيل وأمريكا والغرب.

إضافة إلى مخالفتها للواقع التاريخي، فتلك الأحاديث لا تتفق مع واقع الأحداث وقتها، ولا مع "صحيفة المدينة" التي تضمنت بنودها احترام حرية التدين لسكان المدينة على اختلاف دياناتهم.

فاستخدام مصطلح "حروب المرتدين ساعد جماعة الأخوان، وما انبثق عنها من منظمات وجماعات إرهابية مسلحة مثل القاعدة وداعش في تكفير المسلمين وتبرير قتلهم بمبرر ردتهم لبسط نفوذ تلك الجماعات على أراض عربية وإسلامية لإعلان قيام ما أسموها بدولة الخلافة، والتي هي ضد الدولة الوطنية، وهذا يتعارض مع النظام الأساسي للحكم، ورؤية المملكة 2030، وأهداف هذه المناهج فيما يختص بتنمية الحس الوطني، فلابد من إعادة النظر في المصطلحات التاريخية، والتحقق من صحتها بدلًا من ترديدها بأخطائها .

أهداف الفتوحات الإسلامية في بعض كتب التاريخ[1]

هناك من يرى من المؤرخين خلفاء بني أمية قد ساروا في سبيل نشر الإسلام ورفع راية التوحيد على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فتوسعوا في فتوحاتهم حتى وصف عصر الدولة الأموية بعصر الفتوحات الإسلامية[2]

ممّا يثير الدهشة والاستغراب أنّ من المتخصصين في علم التاريخ، يقولون قولًا يُخالف الحقائق التاريخية، فلا يغيب عن أي مؤرخ ملتزم بالحيدة والموضوعية لا ينتمي لأي فكر معيّن بأنّ الهدف الأساس من الفتوح الإسلامية كان تأمين الدولة الإسلامية من المتربصين بها؛ إذ كانت محاطة بامبراطوريتيْن كُبريَيْن مُتربصتيْن بها هما الفارسية والبيزنطية، فمنذ العهد النبوي قرر الروم إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدد كيانهم المسيطر على المنطقة؛ ففي سنة 9هـ خرجت جيوش الروم بقوى رومانية وعربية تقدر بأربعين ألف مقاتل لقتال المسلمين في المدينة، وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلّم بمقدمهم خرج لملاقاتهم في تبوك بثلاثين ألف من الجيش الإسلامي، وانتهت المعركة بلا صدام أو قتال لأنّ الجيش الروماني تشتت وتبدد في البلاد خوفًا من المواجهة؛ مما رسم تغيرات عسكرية في المنطقة، جعلت حلفاء الروم يتخلون عنها ويحالفون العرب كقوة أولى في المنطقة. لذلك، حققت هذه الموقعة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين آثروا الفرار شمالًا فحققوا انتصارًا للمسلمين دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمت بصلة الولاء لدولة الروم مثل إمارة دومة الجندل، وإمارة إيلة (مدينة العقبة حاليًا على خليج العقبة الآسيوي) وكتب الرسول صلى الله عليه وسلّم بينه وبينهم كتابًا يحدد ما لهم وما عليهم، كما قتل الغساسنة– أحلاف البيزنطيين– مبعوثه عليه الصلاة والسلام إليهم

---

[1] . منهج ثاني متوسط للدراسات الاجتماعية والمواطنة/ الفصل الدراسي الأول.

[2] . منهج ثاني متوسط للدراسات الاجتماعية والمواطنة/ ف1، ص 25.

وهددوا كذلك بغزو المدينة، وقد كان عرب الشام بصفة عامة يتحرشون بدولة المدينة، ويجدون من أحلافهم الروم(البيزنطيين)كل عون وتشجيع. وموقعة مؤتة خير شاهد على ذلك، فقد ذهب المسلمون إلى مؤتة ليؤدبوا الغساسنة على قتلهم مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلّم إليهم، فإذا بهم يواجهون جموع الروم الحاشدة هناك، ويتعرضون لمحنة قاسية فقدوا خلالها قادتهم الثلاثة، ولولا الانسحاب البارع الذي أحكم خطته خالد بن الوليد رضي الله عنه – بعد أن آلت إليه القيادة– لأنزل الروم بالمسلمين خسائر فادحة. ومن أدلة الخطر الذي كان يداهم الدولة الإسلامية الوليدة أنّ هرقل إمبراطور الروم أمر بوضع رابطة في البلقاء بالشام على الحدود مع شبه الجزيرة العربية، وذلك بعد الحملة التي أعدها الرسول صلى الله عليه وسلّم قبيل وفاته ونفذها أبو بكر رضي الله عنه في صدر خلافته، وذهبت الحملة التي كانت تهدف إلى تأديب عرب الشام– أتباع الروم– لاستفزازهم المستمر للمسلمين، وهذا ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلّم يختار لقيادتها أسامة بن زيد. أمّا الفرس فقد هدّد إمبراطورهم بالهجوم على المدينة بعد لقائه بمبعوث الرسول صلى الله عليه وسلّم إذًا كان الموقف على الجبهتين الفارسية والبيزنطية في صدر الخلافة الراشدة مهددًا بالانفجار في أية لحظة، وهذا يُفسّر لنا بدء المصادمات بين المسلمين والقوتين العظميين بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسّلام لتأمين الجبهة الإسلامية، ودرء للخطر المحدق بها من كل جانب، وليس لفرض الإسلام بالقوة، والبلاد التي تمّ فتحها كانت محتلة من قبل الفرس والرومان، وكان سكانها يُعانون من اضطهاد، فكان لمسيحيي العراق والشام ومصر من النساطرة واليعاقبة والأقباط أصحاب مبدأ الطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام الدور المهم في تقديم الدعم والمؤازرة لجيوش الفتح الإسلامي تخلصًا من نير اضطهاد أباطرة بيزنطة من أصحاب مبدأ(الطبيعتين)

إنّ الفاتحين المسلمين لم يُكرهوا أهالي البلاد المفتوحة على اعتناق الإسلام، بل عقدوا معهم معاهدات تمنحهم حرية العقيدة مع توفير الحماية لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومعابدهم، وفي

مقدمة هذه المعاهدات عهد الأمان الذي منحه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم، وصلبانهم، ولا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم.."، وعهد عمرو بن العاص رضي الله عنه للقبط الذي كتبه بيده بحماية كنيستهم، ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها، وكتب أماناً للبطريق بنيامين، وردَّه إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء 13 سنة، وقد بيّن هذا المستشرق البريطاني السير توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ،ص123، والمعاهدة التي عقدها حبيب بن مسلمة الفهري مع أهل دبيل في أرمينيا في عهد عثمان رضي الله عنه.

انتشار الإسلام عن طريق التجار

من المغالطات التاريخية الكبرى مقولة معدي مناهج الدراسات الاجتماعية والمواطنة أن الفتوح الإسلامية كانت لنشر الإسلام، فالحقائق التاريخية تؤكد أنّها كانت لحماية الدولة الإسلامية من تهديدات أكبر امبراطوريتيْن آنذاك، فالمسلمون لم يفرضوا الإسلام على أهالي البلاد المفتوحة، بل عقدوا معهم معاهدات أمان على أديانهم وعقائدهم، حتى المجوس عوملوا معاملة أهل الكتاب، فكفلت لهم الدولة الإسلامية الحماية وحرية العقيدة.

كما أود أن أشير إلى نقطة هامة للأسف الشديد يتجاهل أهميتها كثير من معدي المناهج الدراسية لمادة التاريخ، وهو أنّ كثيرًا من أبناء القبائل العربية الذين خرجوا مع جيوش الفتح الإسلامي استقروا في البلاد المفتوحة وتصاهروا مع أهلها، وعلّموا من أسلم منهم الدين الإسلامي؛ ولذا نجد من أبناء الدول الإسلامية من هم أحفاد لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

و كما لم يفرضوا الإسلام على البلاد المفتوحة، كذلك لم يفرضوا لغتهم العربية، فتعريب الدواوين في البلاد المفتوحة في العهد الأموي كانت على رأس المائة الهجرية، وذلك بعد أن تمّكن سكانها من تعلم العربية.

هذا ممّا يؤكد أنّ الهدف من الفتوحات الإسلامية تأمين حدود الدولة الإسلامية والتصدي لأية محاولة للعدوان عليها، انتشار الإسلام عن طريق التجار في كثير من البلاد يبلغ أعداد سكانها المسلمين قرابة نصف العدد الإجمالي للمسلمين اليوم، ويتوزعون في ثلاث مناطق رئيسة في العالم، هي:

1. منطقة جنوب شرق آسيا: هذه المنطقة كانت تدين بالديانة البوذية وبعض الوثنيات المحلية، وتضم اليوم حوالي 250 مليون مسلم، وهم سدس مسلمي العالم، ويتوزعون في عدد من البلدان تبدأ من أقصى الشرق بالفيليبين وتنتهي بجزر المالديف في وسط المحيط الهندي، وبينهما أندونيسيا وماليزيا وبروناي، وهي شعوب ذات أغلبية إسلامية كبيرة، وهناك أقليات كبيرة في الفيليبين، وتتركز في إقليم مورو (مندناو) وتشكل 12% من سكان الفيلبين، ومثلها في تايلند التي يتركز المسلمون فيها في الجنوب في إقليم "فطاني" المحادد لماليزيا، وتوجد أقلية في بورما تتركز في إقليم "أراكان" المحادد لبنجلاديش، إضافة إلى أقلية في سنغافورة وهي الدولة التي اقتطعها الإنجليز من ماليزيا.

إضافة إلى انتشار الإسلام في جنوب الصين، وشمال آسيا، حيث المناطق التي تقع شمال القوقاز، وحتى سيبيريا التي تمتد من روسيا إلى المحيط الهادي، وهي المناطق التي قام الدعاة والتجار الآتون من بخارى بدور كبير في إسلام كثير من أهاليها. وينطبق مثل هذا الكلام على شبه جزيرة القرم التي تقع شمال شرق أوربا، وهي اليوم جزء من جمهورية أوكرانيا. ويكفي القول أنّ الغزاة المغول الذين غزوا الدولة الإسلامية دخلوا في الإسلام طواعية وهذه سابقة لم تحدث من قبل ولا من بعد أنّ الغالب يدين بدين المغلوب.
2 . منطقة القرن الإفريقي وشرق إفريقيا: فاعتنق أغلبية سكانها الإسلام في أوقات متتابعة في

الصومال وجيبوتي وتنزانيا وإرتيريا وجزر القمر، وثلاثة منها اليوم أعضاء في جامعة الدول العربية، كما دخل الإسلام أثيوبيا، وكينيا، وموزمبيق.

3.منطقة غرب إفريقيا وجنوب الصحراء: يوجد فيها(15)دولة تفوق نسبة المسلمين فيها الـ70%، وتليها عشر دول تزيد نسبة المسلمين فيها عن الـ50% من مجموع السكان، فأصبح قرابة مائتي مليون مسلم في هذه المنطقة التي دخلها الإسلام بأخلاقه وقيمه وسماحته وعدله، دون أن تطأ أراضيها قدم جندي واحد من جنود المسلمين.

فلماذا يصر معدو المنهج على تشويه صورة الإسلام بتغيير حقائق تاريخية، والزعم بأنّ الإسلام قد انتشر بالفتوحات الإسلامية ليتوافق هذا مع ما يعتقده البعض من أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم وأصحابه والأُمويون والعباسيون كانوا يقاتلون جميع الناس حتى يسلموا، وللأسف نجد انّ معدي مناهج الحديث والثقافة الإسلامية للمرحلة الثانوية يؤمنون بهذا الفكر، فممّا جاء ضمن تعريف الجهاد في مادة الحديث والثقافة الإسلامية(3)المستوى الخامس النظام الفصلي للتعليم الثانوي عام 1441هـ، ص 178]:"مجاهدة الكفار بدعوتهم إلى دين الله عمومًا" وجاء في تعريف أنواع الجهاد في مادة الحديث والثقافة الإسلامية للتعليم الثانوي(2) للعام الدراسي 1441هـ:"معنى القتال الذي شرّعه الله تعالى لنشر الدعوة الإسلامية" وهذا للأسف يمثل فكر دعاة "دولة الخلافة" من أخوان وما تمخض عنهم من أحزاب وجماعات إرهابية مسلحة؛ إذ نجدهم يُغيّرون في الحقائق التاريخية، ويُعزِّزون افتراءات المستشرقين أنّ الإسلام انتشر بحد السيف، ليعطوا لأنفسهم مبررات لقتال المسلمين الذين يُكفرونهم لإقامة دولة الخلافة التي يُنادون بها، مع أنّ الأجدى التركيز في مناهجنا على أنّ أخلاق التجار المسلمين الحسنة وصدقهم وأمانتهم أدى إلى انتشار الإسلام في بلاد يشكل سكانها الحاليين أكثر من نصف المسلمين حاليًا، وإمكان كل واحد منهم أن يكون داعيًا للإسلام بتخلّقه بأخلاق الإسلام.[1]

[1] . نُشر في صفحة الرأي بجريدة المدينة بتاريخ 12/7/ 2019م.رابط المقال: https://www.al-madina.com/article/662477/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8/%D8%A3%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%81-

الخاتمة

وهكذا نجد أنّ دولة الخلافة المزعومة لا أساس لها في تاريخ الدولة الإسلامية في مختلف أطوارها وعصورها، وركائزها التي أقام جماعة الأخوان وجماعاتهم الإرهابية وتنظيماتهم المسلحة المنبثقة منها عليها دولة الخلافة لا أساس لها في صحيح الإسلام المتمثلة في:

1. مفهوم خاطئ للجهاد بقتال غير المسلمين لنشر الإسلام وتكفير المسلمين ممن ليسوا ضمن تنظيماتهم ، وكل تنظيم منهم يكفر من ليس منه لإباحة قتالهم وقتلهم باعتبارهم مرتدين عن الإسلام ، مع عدم وجود آية في القرآن تنص على قتل المرتد عن الإسلام .

2. الأسرى والسبايا وملك اليمين.

3. تأنيث الحور العين، وتخصيصهن للذكور فقط دون الإناث ، والزواج بهن بمفهوم زواج الذكور بالإناث .

وهكذا نجدهم نسجوا كيان دولة الخلافة المزعومة بخيوط واهية كخيوط بيوت العنكبوت ، سرعان ما تنهار على من فيها، وللأسف كثير من شبابنا صدّقوا هذه الأكذوبة وجعلوا من شعوبهم ودولهم وأهليهم وأنفسهم تلك الخيوط الواهية التي نسجت دولة خلافتهم المزعومة.

%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%AA%D9%88%D8%AD%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85-1441%D9%87-%D9%811-(2)